إسماعيل بن عثمان الزاهي
كلية الشريعة

ضحايا التقاليد

obeikandl.com

obeikandl.com

افتتـــــاح

﴿ بسم الله الرحمـــن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين . وصلاة وسلاما على من بعث لهداية البشرية أجمعين . محمد . صلوات الله عليه وعلى صحابته الذين حملوا المشعل من بعده فكانوا هداة للانسانية ورسلا للسلام .

وبعد فلقد شاءت إرادة الله أن أوجد من سلالة عربية عبادية . تسكن فى أقصى الصعيد « مديرية أسوان » وأعيش بين أهل جلهم من القبائل الرحل فى الصحارى والجبال . لهم من عاداتهم العربية الصارمة ومن قوانينهم النافذة مايجعلهم يعيشون فى أمن وسلام وراحة واطمئنان .

ولقد كان حبيباً إلى نفسى أن استمع إلى أهلى وعشيرتى وهم يسردون تاريخ آبائهم وأجدادهم ويعتدون بتلك المفاخر الشماء

والمآثر الغراء ويذكرون البطولة الخالدة والشجاعة القوية التى أعلت من شأنهم ورفعت من قدرهم مما جعل الدنيا تشيد بذكرهم وتتغنى بمجدهم وتقتفى أثرهم حتى تصل إلى ما تتمناه من رقى وتقدم .

ولقد كان من توفيق الله على أن أكون أحد المنتسبين إلى « الجامعة الأزهرية » تحقيقا لرغبة أهلى العربية ولدراسة الشريعة السمحة فى أكبر جامعة اسلامية فى الشرق . وهأنذا أقدم إلى أبناء العروبة لوناً من « أدب القصة » يدرس ناحية من نواحى المجتمع المصرى ويبحث عن أدواء متفشية فيه نحن أحوج ما نكون الى استئصالها وقطع دابرها حتى نتمكن من إقامة مجتمع قوى يستطيع أن يجابه تيارات الزمان ليخرج منها مرفوع الرأس موفور الكرامة .

وهاهى باكورة إنتاجى « ضحايا التقاليد » كتبتها وأنا فى المرحلة الثانية من التعليم وذلك حين ألقيت نظرة بل نظرات إلى حالة مجتمعنا المصرى وما يوجد فيه من هوة سحيقة فى

طبقاته وتنافر بين عاداته وانظمته .

وهأنذا أقدم اليك أيها القارىء « قصتى » بنفسى ولم أعمد إلى أديب من الأدباء أو عظيم من العظماء ليقدمنى اليك حتى يكون ذلك سبباً للشهرة كما هى عادة المؤلفين ولاسيما الناشئين من أمثالى . وليس ذلك لشذوذ أو غرور فى نفسى فأننى أبرأ الى الله من هاتين الخلتين . ولكن طبيعة خلقى تأبى على أن ألبس ثوب النفاق فأتعلق فى ركاب أحد العظماء وأفاجئك بتقريظه فى أولى الصفحات . ولك ان تحكم على أيها القارىء بما تشاء فأن أصبت فى عملى ووفقت الى الهداية والنجاح فالحمد لله وشكرا والا فالعصمة لله ولرسله وهو ولينا ونعم النصير .

يسن عباس عثمان حراجى

كلية الشريعة الاسلامية

الاهـــــداء

إلى أبى ! ! ! . . .

اليك يا أبى أهدى ثمرة من ثمرات غرسك الطيب .

وأقدم لك بعضاً من نتائج جدك واجتهادك .

وإنها لآية من أدبك . وقطرة من خلقك . وتوجيها من تربيتك .

فهل تقبلها من ابن مخلص فى طاعتك . متفان فى ارضائك مقدر لك عظيم مننك وأياديك ؟ ! .

وإنها لمن غرسك وتفتخر بالانتساب اليك . فلك الفضل أولا وآخرا . . .

ولك منى كل تجلة واحترام ؟

إبنك

ى . ع . ع . حراجى

بالجامعة الأزهرية

obeikandl.com

الفصل الأول

« جمال الطبيعة »

تنفس الفلق . وأشرق الصبح بنوره الساطع ووجهه الجميل مغريا بابتسامته الفاتنة وحسنه الخلاب .

وشاءلى الحظ الباسم أن أشهد تلك المعركة الحامية الوطيس التى كانت تدور رحاها بين الليل والنهار . وهأنذا أرى تلك الجيوش الجرارة وهى تخوض هذا المعمعان . وتغزوا الميدان تكافح أملاً فى الإنتصار وطمعاً فى النجاح . وبينما أنا فى موقفى هذا أرقب ذلك الصخب وأسمع تلك الضوضاء من نافذتى . وأقلب النظر فى كل مكان . وأسرح الطرف فى كل مايسترعى انتباهى ويلفت ناظرى . إذا بى أجد الليل يوجه هجماته الى المشرق لأن الميدان هناك . وخطة الدفاع تدعوه لأن يرابط

فى هذه الناحية التى تفدمنها جيوش النهار وتغذيه بالمؤن والعتاد وبين طرفة عين وانتباهتها رأيت المعركة قد بلغت أشدها من العنف والقسوة . إذ قام النهار بهجومه العنيف فسلط كشافاته الساطعة وزحفت جنوده الباسلة على الليل فأخذته على غرة وغلبته على أمره مما جعل جيوش العـــدو تنسحب بلا نظام وتتقهقر بلا روية وتترك له الميدان وتسرع بالفرار لا تلوى على شىء . وهكذا تختفى جيوش الليل المخيفة وتفنى قواته المتجبرة أمام النور والضوء والشروق . وإنه ليتعقبه فى كل مكان ويفترسه أينما يجده بلا رحمة ولا هوادة وبذلك تم له الإستيلاء على الكون . ثم تفرغ بعد ذلك لإقامة الزينات والأفراح ترحيباً بمقدم رئيستهم « الشمس » وها هى « الغزالة » تقبل متخايلة وتمشى متهادية يشع منها النور وتعطر الدنيا بهاء وجمالا وتوزع عليهم الابتسامات بالقسطاس المستقيم . وفرح الناس من هنا وهناك مشاركين الجيوش فى أفراحها مغتبطين بمقدمها مظهرين

سرورهم بما شاهدوا من جمال الكون وزينة الحياة لاسيما وقد وجدوا أن الطبيعة قد تزينت بأحسن زينتها ولبست أفخر ثيابها وظهرت فى حلة تسحر العقول وتدهش الألباب وكأنها فتنة للناظرين . وهاهى الأنهار ترقص فرحا وتهتز طرباً وتعكس على صفحتها تلك الخيوط الذهبية الجميلة . وإنك لتشاهد الأشجار وهى تتمايل عجباً وخيلاء يعانق بعضها بعضا وتسمع لها من حفيفها نغماً شجياً إذ تضرب النسمات على أوتارها وكأنها موسيقى السحر . وإن أردت أن يكون لك نصيب الأسد فاذهب إلى الجنان الفيحاء والرياض الخضراء فأنك واجد فيها وجوها قد عمها البشر والسرور وشملتها الغبطة والحبور كيف لا والجو معطر بأريج الزهور والورد مفتح الأكمام وإنه ليوم مشهود ففرح الناس بحسن منظره وجمال وقعـــه وكل ماتشاهده فهو آية فى السحر الحلال والطبيعة من حولهم تشاركهم الأفراح وتقاسمهم المسرات . فهذان محبوبان يمشيان الهوينا ويتناجيان بأعذب

الألحان ويتحادثان بلغة الهوى والغرام . يلثم الدرر من مبسمها العذب ويقطف الورد من وجنتيها النضرتين .

وثمة أطفال هنا وهناك يلعبون شاركوا الطبيعة فى جمالها والطير فى تغريدها . وهاك أسرة تفترش الخضروات يتوسطها عميدها يحدثهم عن جمال الربيع وبهجة الحياة . وهنا تجد شابا يجلس على انفراد ينعم بالوحدة ويتغزل فى ملكوت الله ويسبح فى هذا الفن الرائع وذلكم الصنع البديع . سبحانك ربى خلقت فأبدعت وأوجدت فأحسنت فالكل شاهد على قدرتك دال على وجودك . وفى كل شىء له آية . تدل على أنه الواحد . ثم اذهب معى واستعرض ما يشاهده الحس ويقع عليه النظر فلن ترى إلا قصوراً شاهقة وأنظمة حديثة وهندسة بديعة . ثم قف باصاح برهة من الزمن وأنظر إلى هذا الجمال الهندسى أنه يتجلى فيه الفن الرفيع والذوق السليم والطراز الحديث . ثم خبرنى . ألم يخفق قلبك إجلالا . وتطأطىء الرأس هيبة واحتراما . ؟

وإنك لتقول . لمن يكون هذا القصر الذى وهب السحر وخص بالوقار ؟؟ . أجل أنه لرجل من رجالات مصر المبرزين وعظيم من عظماء الدولة المتقدمين له كلمة نافذة ورأى مسموع مما جعل الجميع يشيرون اليه بالبنان وإن له لسلطان يضفى عليه الهيبة والوقار . انه . م.ح . باشا وتتألف هذه الأسرة الاستقراطية من عميد الأسرة وحرمه المصون وابن يسمى « فتحى » وفتاة تسمى « فتحية » وانهما ليرفلان فى حلل النعيم ويتمتعان فى ظل أبويهما بالسعادة والهناء . اذ كانا محط أنظار أبويهما ومكان عنايتهما ولكن تشاء ارادة الله أن تختطف يد المنون هذا الشاب الوسيم وهو فى ريعان شبابه وعنفوان فتوته ولا تسل عما كان فى نفسهما من شديد الأسى وعميق الحزن على فقده . ثم توجهت عناية الإبوين وعظيم رعايتهما الى فتاتهما « فتحية » يتعهدانها بالحب والرعاية والتهذيب والتثقيف حتى تكون لهما خلفا صالحا وزرية طيبة . وهكذا أرسلت الى دور التعليم مبجلة

محترمة حتى كان لها منه أوفر نصيب وأظهرت كفاءة وجدارة مما جعلها محط الأنظار وأهل للتبجلة والإحترام . فلها من جمالها الباهر وحسن أخلاقها وهدوء نفسها وخفة روحها ورزانتها مما يجعلها محببة للجميع . لم يكن لديها طيش الشباب ولم تغتر بقوة مركز أسرتها بل انك تراها هادئة وديعة لينة الجانب طيبة القلب متواضعة النفس . وعندما انتهت من المرحلة الثانية للتعليم بتقدم تركت لها حرية الاختيار فى نوع التعليم العالى . وما كانوا ليمانعوا فى تنفيذ رغباتها أو يتأخروا فى تحقيق طلباتها . واذا بها تؤثر كلية الطب بالجامعة المصرية وكان لها ما شاءت وتحقق لها ما أرادت لسمو مكانتها الاجتماعية وتقدمها فى العلم والعرفان .؟

الفصل الثانى

هنا القاهرة ! . مدينة النور والعرفان . ومهبط الوحى والجمال . ومركز الحضارات والمدنيات . ودعك أيها القارىء من رؤيا القصور الشاهقة . والتمتع بالمناظر الجميلة وهلم معى نولى شطرنا نحو إحدى الأحياء البلدية المقفرة . لترى هناك اخوانا لنا فى الانسانيه وشركاء فى الوطنية . فماذا ترى . ؟ ترى اجساما هزيلة . ووجوها شاحبة . وبطونا خاوية . ترى قوما قد عضهم الفقر بنابه . واقعدهم المرض عن أداء ما عليهم من واجبات حتى جعلهم يعيشون على هامش الحياة ماسيدعوك إلى أن تقول . أفى مصر آ شباح فى هيكل إنسان . ؟ أفى القاهرة بؤس وحرمان . ؟ أفى العاصمة من هو محروم من نور الشمس والتمتع بالهواء الطاق ؟ . أفى مدينة النور يتجسم الظلام الموحش وتتراكم

القاذورات لتكون مرتعا للميكروبات التى تفتك ببنى الإنسان؟؟
أفى وادى النيل من يشكو الظمأ ويلوى بطنه على الطوى ؟؟
ولله در من قال .

ياطيور الحمى وروحى فداكم ما على الطير إن بكى من جناح
آسغاب وارض مصر قناة من رحيق وجدول من اقاح
أظماء وذلك النيل يجرى كوثرا فى سهولها والبطاح
وعجيب كيف يشتكى الطير عيشا
وهو فى جنة من الأدواح
ليس داء البلاد عقم بنيها لاولا جهلهم بطرق النجاح
إنما داءها سراة اصيبوا إذ أصيبوا بخسة الأرواح

ويرحم الله المتنبى القائل :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا .

وها نحن نشاهد بصيصا من النور ينبعث ضعيفا حزينا من إحدى النوافذ القريبة . وقد وقف رسول السلام وبشير الأفراح

بباهم يزجى إليهم نتيجة ابنهم « فتحى عادل » وهى تثبت بأنه الأول من الناجحين فى القطر المصرى لشهادة التوجيهية هذا العام وبذلك أصبح من حقه التمتع بامتياز المجانية العام فى جميع مراحل التعليم العالى . وإن امه لتغتبط بفوز ابنها الباهر ونجاحه الظافر وتقدم للمهنئين ماملكت يداها . وهل تمتلك يداها شيئاً غير الدعوات الصالحات . وأنها لاسرة فقيرة إلى الله والله هو الغنى الحميد . قوامها هذا الشاب الذى يبدوا ضعيفا هزيلا « فتحى عادل » وطفل صغير يسمى « سمير » وامهما .

أما الأب فمن زمن فقدوه . وإننا لنتقدم إليه بالتهنئة على ما وفق إليه . راجين له كل تقدم فى « كلية الطب » التى آثرها على غيرها . حتى تسعد به اسرته وينشلها من براثن الفقر والجوع . ويؤدى لوطنه ماعليه من واجبات . !

هنا « كلية الطب » احدى كليات الجامعة المصرية . وانك لتشاهد الشباب الناضج من فتيان وفتيات يقبلون على سماع المحاضرات

العلمية بسرور واغتباط يبدو على محياهم مرح وانشراح وهمة ونشاط . وجد فى سبيل العلم وحب للمعرفة .

ولقد انتظم الشمل وجلس الجميع وارهفت الآذان وشخصت الابصار لسماع محاضره فى فوائد الأشعة .

وهاهو المدرس يشرح لهم فوائد هذا الاختراع العجيب الذى يعد معجزة عظيمة ومفخرة تشيد بتقدم العلم الحديث. وكبير فضله على الانسانية. وكان المدرس يستعين فى شرحه للتلاميذ بشريط كهربائى يظهر لهم مدى تأثير هذه الفؤاد فى كشف الأمراض المختلفة . وبعد أن انتهى المدرس من هذا الشرح المسهب وابانه لهم عمليا طلب من التلميذ « فتحى عادل » أن يأتى له بنتيجة هذا البحث ويقدم ماعنده من ملاحظات وما يحتفظ به من تعليقات كعادته عقب كل بحث . ويقف « فتحى . ع » متحدثا باسلوب رقيق ونفس هادئة مطمئنة مبينا ما فهمه من استاذه وما كان محتفظا به من آراء وبحوث جمعها من اضطلاعه . ثم

تدور المناقشات بينه وبين استاذه فى حكمة وروية واتزان واداب يتجلى فيهما عطف الأستاذ على تلميذه وحرصه على نفعه . وحبّ التلميذ لمربيه . وهكذا ينتهى الوقت فى ذكر الآراء ومناقشة النظريات وبقية التلاميذ يسمعون هذا النقاش المتبادل وهم فى عجب واستغراب لهذا التلميذ البائس الذى يأبى إلا أن يأتينا بنظريات تأخذ منا كل وقتنا مما يتمتع به من مركز محترم وتقدير من الأساتذة وهاهم يوجهون سهام نظراتهم إلى زميلهم بالهزء والسخرية ويواجهونه بالتهكم اللازع والنقد المر والكلام الموجع . حاسدين له هذه القوة العلمية والجرأة العظيمة ! .

وإن ابنة . الباشا لتسمع هذه المحاورات فى صمت وروية وكلها عيون شاخصة إلى مايدور فى قاعة المحاضرات . وإن نفسها لتفكر فى هذين الموقفين المتناقضين . إذ تنظر إلى زملائها وزميلاتها فتجدهم يرسلون نكاتهم اللازعة ويوجهون حملاتهم

القاسية إلى هذا الزميل احتقارا له وبغضا لشخصه ولا ذنب له إلا أنه من أسرة فقيرة الحال وليس له من الهندام وحسن المظهر وجمال المنظر مثل ماهم فيه . وآونة تنظر لهذا التلميذ فتجده دوما يظفر بحب اساتذته وينال رضاهم ولا يبخلون عليه بتوجيه الثناء المستطاب على نبوغه وحدة زكائه وسرعة ادراكه وسعة اضطلاعه . بل يمدحون فيه وقار العلم وجلال الأدب واعتزازه بالعلم وحبه للمعرفة وما يتسم به من تواضع جم وخلق جميل واحترام لحقوق الغير مما يجعله لايحفل بالصغائر من الأمور أو التوافه من الأشياء : ولقد كان لهذين المظهرين أثرا كبيرا فى نفس الآنسة « ف » إذ كانت تفكر كثيراً حتى تجد لها تعليلا صحيحاً أو سببا يدعو إلى ذلك الاختلاف . . ولقد هداها تفكيرها السليم وتقليب الرأى من جميع الوجوه إلى أن تطلب العلم حبا فى العلم وتجد فى الحصول عليه مهما كانت التضحية غالية والثمن مضاعفا ولتضرب صفحا عما فيه

الزملاء من غرور وكبرياء وعبث واستهتار وعدم مبالاة بالدرس والتحصيل وخروج عن الانظمة والتقاليد . وهاهى ذى تواصل الليل بالنهار وتجد فى التحصيل وتكثر من الاطلاع فى كثير من الكتب ذات المسائل الهامة والفوائد العظيمة مما اضفى على شخصيتها العظيمة هيبة العلم ووقار الأدب . وأنها لتسأل اساتذتها فيما استغلق عليها من المسائل وتناقشهم فى كثير من الآراء والنظريات حتى اشتهر أمرها بأنها الباحثة . وحدث ذات يوم أن ذكرت نظرية « فى التشريح » لأحد العلماء الفرنسيين يقرر فيها اشياء لاتتفق مع التجارب العلمية الحديثة مما جعلها عرضة لكثير من النقد فهل نجد من أستاذنا شعاعا من النور يوضح لنا ماخفى عنا لنكون على فهم دقيق لها . ؟ ولقد اعجب استاذ الدرس بسؤالها الذى يدل على سعة اطلاعها وكثير بحثها وطلب من « فتحى » أن يدلى بما يعرفه فى هذا البحث . فيقوم الشاب مبينا أن هذه النظرية ذكرت فى

كتاب و . م : وهناك كتب أخرى تنقدها وتذكر صحتها وذكر مصادر ذلك بالدقة . وتناقشه الآنسة « فتحية » فى بعض النقط الهامة . فيرد عليها مدعما اراءه بالحجة الساطعه والتجارب الصحيحة . مما دعاها إلى أن تقول لأستاذها . إن تلك المصادر التى ذكرها الزميل هى حقيقة تذكر ذلك وتثبت صدق ماذهب إليه ولكن كيف استطاع أن يهضم هذه المصادر الضخمة ويجمعها فى جسمه الصغير ؟ .

فيجيب المدرس قائلا . إن لفتحى عقلية جبارة وفكرة نيره وآفاق بعيدة نتيجة لاضطلاعه الواسع وتفكيره السليم وعقله المتزن .

وانى إذ أغبطه على مايقوم به من مجهود جبار يؤديه بصبر وجلد لأتمنى من صميم قلبي أن يكون جميع تلامذتى من أمثاله ممن يبحثون فى العلم لاستخراج مكنونه وما يضفيه على الانسان من نور وخبرة . وبصيرة وتجربه ولايجعلونه

وسيلة للشهادات وطريقا لتخطى المرحلة . وبودى أن يكون « فتحى » مثلكم الأعلى . فتحتذون حذوه وتسلكون نهجه وتبحثون مثله وتجدون فى الدرس والتحصيل وتواصلون الجهد والنشاط حتى تؤدون واجبكم كاملا غير منقوص وبذلك تخرجون إلى ميدان العمل وأنتم مزودون بالسلاح . محصنون بالخبرة والتجارب . عاملون على ما فيه رفعة وطنكم واسعاد بنى جنسكم

ثم خرج مودعا إياهم . وبينما التلاميذة خارجون إذ يقابل «فتحى» فى طريقه بالآنسة «فتحية» فتحييه برقة ولطف وتشكره على بحثه وإجابته وتعتذر له عما كان فى سؤالها مما قد يؤلمه إذ أنها لم تقصد بذلك إلا مدحه . فيرد التحية بأحسن منها ويقدر لها حسن نيتها ويغبطها على مجهودها متمنيا لها التوفيق والنجاح فتسأله كيف توصل إلى هذه الأسفار الضخمة وهى عزيزة فى الأسواق ؟. فيجيبها بأن عميد الكلية قد استدعاه وسهل له كل مايحتاج إليه من الكتب وأنه على استعداد لتلبية جميع رغباته . .

إذاً إدارة الكلية تحبك أيضاً ويوجدون لك ما تطلب ! ! .
إنهم يا آنسة يحبون العلم فى شخصى أما نفسى وحـــدها فلا قيمة لها عندهم ولا اعتبار لوجودها بينهم وأنا إنسان جد حريص على أن أجد فى ميدان العلم بعد أن فشلت وأسرتى فى الميادين الأخرى وطأطأ رأسه إلى الأرض حزيناً . ثم ودعها وانصرف إلى منزله .

وذهبت « فتحية » الى منزلها وفى نفسها من عوامل الأسى والألم ما يحز فى فؤادها ويقطع نياط قلبها . وآنى لها أن تتحمل ذلك . لأنها صاحبة التربية العالية وابنة المجد الأثيل . وذات الإحساس المرهف والوجدان الرقيق . مما دعاها الى أن تتأثر بما لمسته من حديثها مع زميلها « فتحى » اذ أدركت أنه يشكو ألماً ممضاً وحزناً دفينا . وفشلا فى ميدان المال والثراء . سيما وأن الحياة لتقسو عليه بشدة وتحارب نبوغه وعبقريته بقوة . ولكنه يأبى الا أن يصمد أمام الحوادث الجسام ويغالب هذه

الأرزاء فى صبر وجلد . وتأبى الحياة إلا أن تحرمه من منعها ولذائذها وتبعده عن مظهرها وزينتها . وأنه ليرضى بهذا الحرمان ولكن لا يقف مكتوفى الأيدى أمام ثمرة الحياة ولبابها الفياض بل دون ذلك خرق القتاد . وتلك هى طبيعة الأفذاذ العبقريين من بنى الإنسان فإنهم يفرضون أنفسهم ويعلنون وجودهم ويبسطون آراءهم على الناس ولا يضيرهم بعد ذلك ارضيت الدنيا أم سخط العالم . وأنها لتساءل نفسها وهى واقفة أمام مائدة الطعام وعليها ما لذ وطاب ومن كل فاكهة زوجان . هل يسعد أبناء الدنيا بهذا النعيم الزاخر ؟ ؟ وهل توجد لديهم هذه المأكولات الشهية ؟ اللهم لا .. بل أنهم يسدون الرمق ويملؤن البطون من حشو الحياة وسقط المتاع . وأن « فتحى » لواحد من هؤلاء . وأنه لحرام على هذا النعيم وذلكم الهناء حتى أتوصل إلى اسعادهذا الانسان الذى لفظته الحياةوطرحته من حسابها . هذا الذى لايجد من بنى جلدته عونا على نكبات

دهره ومصائب دنياه . ولقد كان حريا بأبناء المجتمع المثقف أن يكونوا صفا واحداً وكتلا متراصة فى سبيل رقى بلادهم وتعاونهم فى طريق الخير والسلام ولكنهم وقد انخدعوا بالمظاهر الكاذبة وجروا وراء أوهام باطلة وفرقوا بين بنى جنسهم تحت تأثير هذه الظواهر المتفشية التى لا تتفق مع رقى المجتمع وتقدمه ونهضته وسعادته . بل هذا يخالف قانون الله فى أرضه وتشريعه لعباده مما يدعونى جديا على أن أضع لنفسى طريقا فى الحياة وأسير على ضوء المبادىء السامية واستمع الى ضمير الواجب ونداء الانسانية الذى يحتم على الانسان أن يراعى حقوق الأخوة ويحافظ على شعور بنى وطنه . وعلى هذا النور سأسير مهما كانت النتائج وما سيوجه الى من نقد . ويكفينى شرفا أن أزهق نظما خاطئة متفشية واضرب صفحا عن عادات كلها ظلم وفجور مما هى فيه الطبقات الارستقراطية حتى يعلموا الحق من الباطل ويعرفوا النور من الظلام .

الفصل الثالث

تمضى الأيام سراعا وتسير قافلة الزمن بخطى واسعة وها هو ذا — فتحى عادل — يمشى فى طريقه إلى الأمام بما جبل عليه من صبر وجلد . وحكمة واتزان لا يثنيه عن عزمه محاربة الحياة ولا يتهيب وقوفها له بالمرصاد . وها هى ذى إبنة . الباشا « فتحية » تغمره بعطفها وتقدر فيه هذه الرجولة الكاملة وتشجعه على أداء واجبه حباً فى نبوغه وحدة ذكائه وسرعة إدراكه . فتدعوه يوميا للركوب معها فى سيارتها الخاصة لتوصله إلى أقرب مكان لمنزله . فيعتذر شاكراً لها جميل شعورها وعظيم إحساسها . لكنها تصر على طلبها ولا تقبل له عذرا . فينزل عند رغبتها .. ويتبادلان الأحاديث فى شتى مرافق الحياة « والحديث ذو شجون » ثم صارت تتداول بينهما الكتب العلمية . وتحضر

له منها مما لايوجد فى السوق أو لا تسمح له ميزانيته المحدودة بشرائه . وهو بدوره يطلعها على مايحتفظ به من مذكرات علمية وما قيده من ملاحظات فنية استخلصها من بين دفتى الكتب مما تمس الحاجة الضرورية اليه ولا غنى للطالب عنه . وهى تستمع إلى هذه التوجيهات فى رقة وأدب وتأخذ نفسها بما جاء فيها وتنظم حياتها على نظام جديد مما جعلها تقلب الماضى رأساً على عقب . فلا هى تخرج إلى الحفلات ولا تذهب إلى قضاء السهرات وتقلل ما أمكن من مقابلة الزائرين من الكبراء والعظماء . . وماكان لأبويها الكريمين أن يظهرا لذلك أى امتعاض أو يبديا أى تأثير تحقيقا لرغبتها وتنفيذاً لسامى إرادتها خصوصا وانها تقضى وقتها فى استذكار الدرس والتحصيل لأن العام الدراسى أوشك على الإنتهاء ويسرهما أن تكون ابنتهما فى مقدمة الناجحات ! ! ! .

انتهى العام الدراسى وتمخض عن نتيجة باهرة وهى خروج

— فتحى . ع — الأول فى شعبته من لناجحين وكان ترتيبها هى الثالث من الفائزين . واغتبط الجميع لهذه النتيجة الباهرة . ولقد أظهرت الآنسة « فتحية » رغبتها فى زيارة منزل زميلها مهنئة اياه على ما أحرزه من نصر وما وفق اليه من تقدم عظيم . وهكذا تأبى ابنة الباشا ألا أن تنزل من عليائها فتجوب فى الأزقة والحارات حتى تهتدى الى منزله بعد طول مشقة وكثير عناء . ولما قابلته وجها لوجه كاد يصعق لهول المفاجأة ! ! وحيته فرد التحية بأحسن منها والتأثر باد عليه ورحب بها الترحيب اللائق بمقامها . ثم اعتذر لها بأن الأثاث لا يتناسب مع سمو مكانتها وعلو شأنها . فقاطعته بقولها . لا محل هنا للاعتذار لأنى حضرت بوازع من ضميرى ودافع من نفسى ولا قيمة عندى للمظاهر أو أى اعتبار لهذه القشور . ثم قدمها لأمه بأنها زميلته فى الدراسة الآنسة « فتحية » كريمة . . . باشا . ورحبت بها الأم وكذلك الطفل الصغير « سمير » أخذت تداعبه وأعطته

بعضا من الهدايا والحلوى . . وأخذا يتبادلان التهنئة ويتجاذبان الحديث حتى استأذنت فودعها إلى مكان بعيد شاكرآ لها تنازلها العظيم بهذه الزيارة ومقدراً لها هذا الشعور الفياض وذلك الإحساس النبيل الذى دفعها الى أن تجشم نفسها هذه المتاعب وتتحمل هذه المشاق . فردت عليه بأن الواجب يفرض عليها ذلك . ثم قالت ألديك مانع من أن نقضى وقتاً سويا فى احدى المتنزهات الجميلة أو نذهب الى حفلة سمر وطرب ! ؟ ؟ . فتوقف بعض الشىء ونظر إلى نفسه مليا وإليها فرأى الفرق شاسعا والبون بعيدا واجابها بقوله أنه يسره أن يكون عند رأيها ومليبا لرغبتها ولكن أرانى لست أهلا لكل هذا التقدير والاحترام ولا أنا ممن فى درجة تسمح لى بذلك إذ التقاليد الحالية والفوارق الاجتماعية بين الطبقات تمنع اجتماعنا . وشتان ما انافيه من بؤس وحرمان وماتنعمين فيه أنت من عز مقيم بوسعد ونعيم وهل العرف يجيز لفرد من ابناء الدنيا أن يكون

بجوار من فى الثريا من الجاه وفى الطبقة العليا من الاجتماع!! :
قال ذلك بصراحة ليعرف مدى شعورها نحوه ونتيجة مودتها له . لكنها قطبت عن حاجبيها وبدى الغضب على وجهها واحمرت وجنتاها ونظرت إليه قائلة عزيزى « فتحى » هل تؤمن بصحة هذه المظاهر وترضى بضرورة هذه الفوارق وتوافق على هذا الانحلال الاجتماعى . ؟ وهل تحلها من نفسك هذه المنزلة أم هذا مجرد امتحان لمقدار شعورى نحوك . ؟

وعلى كل فأنا اختك فى التعليم وزميلتك فى الدراسة وشقيقتك فى الوطنية يجمعنا صعيد واحد ودين سمح لايفرق بين ابنائه .

بل يسوى بينهم كاسنان المشط . فأنا مؤمنه بهذا كله ومصدقة به فى قراره النفس . وهل ايمانك انك غير هذا ؟ .

عفوا يا آنسة ان كنت بقولى هذا قد أثرت غضبك فعذرا أننى كنت اقصد بحديثى هذا اظهار ماتسير عليه نظم الحياة

وما تفرضه علينا التقاليد العصرية من شذوذ وانحلال .
وانا إنسان مبدأه التوحيد الالهى والتصديق القلبي بما جاء به الاسلام الحنيف من أحكام عادلة وتشاريع سامية وتعاون على الخير ومحبة فى سبيل الصالح العام لأنه دين الديمقراطية الصحيحة والمساوات التامة ولا عجب فهو تشريع الله للناس وقانونه السماوى لبنى الأرض فيه صلاح الدنيا وعمران الكون .
ولكن عجلة الزمن تسير على غير هدى والناس فوضى لاسراة لهم والحياة تتحكم كيفما تهوى وتريد والأهواء تتمايل حسبما تشاء حيث تقرر لنا فلسفة جديدة هى مبناها أن الأثرياء والعظماء ومن على شاكلتهم هم ابناء الدنيا السعيدة والحياة الرغيدة وان الفقراء وامثالهم دخلاء عليها وما كان لهم إن يكونوا فيها بل وليس من حقهم أن يتمتعوا بما فيها وهيهات أن يتحقق لهم مايريدون وهذ النظرية الخاطئة لها أكبر الأثر فى مجتمعنا ويؤمن بها الكثيرون . وانا موقن بالطبع من هذا

الحالة انني ممن لفظتهم الدنيا واقصتهم عنها . فاحببت أن أعرف موقفك بالدقه من هذه النظريه وتلك الأحوال . ولعلى بهذا أكون قد أوضحت لك السبب الذى وفعنى الى سؤالى هذا بكل معانى الصراحة . ! إننى شاكرة لك هذا الشرح والتوضيح وذلك النبوغ والعبقرية خصوصا ماسمية بفلسفة الحياة ولقد عجبنى منك شرحك المسهب وضربك على الوتر الحساس وما اظهرته من حكمة التقاليد وماهى عليه الحياة الان . وانا معك ياعزيزى فى إن ذلك هو كل شىء فى الحياة وان الجميع يدين بذلك وان المظاهر سلطانا لايدانيه شىء . ونجدنى لهذا جد حائرة وفى نفسى من عوامل الثورة مافيها وسأكون أول من يخرق هذه التقاليد ويبدد هذه الظلمات ويضرب بها عرض الحائط . وحرى بالمتعلمين أن يكونوا حربا عليها ولن يتأثروا بما جاء فيها اذ ماهى الاقسور ومناظر خداعه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا

جاءه لم يجده شيئا . ووجد الحقيقة سافرة جلية لاغبار عليها ولا مشاحة فى وجودها . ولما كان لى من تربيتى الحرة ومن تعليمى النير مايجعلنى أبحث فى كل شىء ولا أسلم بشىء حتى أقتله دراسة وتنقيبا وتفكيراً مليا الى أن خرجت من هـذا وهدانى تفكيرى على أن لا أقيم وزنا لهذه الاعتبارات الزائفة والتقاليد الجارية والمظاهر الخلابة . وأنا مؤمنة بالحقيقة المرة وهو أن ما خلقه الله من بشر وما أوجـده من بنى الانسان لاتفاضل بينهم فى الغنى والفقر والجاه والعز اذ أن هذه أرزاق مكتوبة فى السماء للخلق أما التفاضل فيكون بما ينتجه الإنسان من أعمال نافعة من عـلم وأدب وما يتحلى به الشخص من خلق وكرم وما يؤديه لبنى جنسه من خدمات تعود عليهم بالسعادة والخـير للانسانية ولهذا قال الله لنبيه « وقل ربى زدنى علما » والا لو صحت هذه الفلسفة الخاطئة لقال له وقل ربى زدنى مالا وجاها .

اذن نخرج من هذا البحث الشيق بنتيجة فساد هذه النظريات

ولا أخالك بعد ذلك الا أنك قد فهمتنى على حقيقتى وعرفت ما يجول بخاطرى سيما ونحن المتعلمون يجب أن يكون رائدنا فى الحياة البحث عن الحقيقة والسعى وراء المعرفة الذى لا يقر هذه الفوارق الاجتماعية ودعوة ما يسمونه بتجاوز الطبقات .. فهل بعد ذلك كله أكون فاضلة بالنسبة لك ومن طبقة أعلا منك ؟؟

ما هذا ياعزيزتى « فتحية » انى لا أكاد اصدق ما سمعته أذناى ولا أدرى كيف وجدت هذه الثورة العنيفة وكيف عاشت هذه النفسية التى تأبى الخضوع للنظم والانقياد للتقاليد ولا تتقيد بما يسمونه بالفوارق الاجتماعية ظنا منهم واعتقادا أن ذلك يشرف مكانتهم ويعلى من قدرهم ويحفظ عليهم أنانيتهم ويبارك لهم غطرستهم . ولكن فاتهم أنهم بذلك يوجدون تصدعا فى بناء المجتمع ويحدثون جروحا لن تندمل ويتركون فراغا يسبب انعدام الصلة والأخوة بين الأمم ويفقد المحبة والوئام بين الناس مما

يتسبب عنه أن يكون الوطن ضعيفا هزيلا لا يشرف ابناءه أو يطفر بهم الى الرقى والتقدم . وإنى لجد مسرور بموقفك المشرف من سير الحياة. ذلك الموقف الذى إن دل على شىء فانما يدل على عقلية فذة وعبقرية نادرة بعيدة عن الهوى والتقليد تقلب وجوه الرأى بميزان الحق والعدل حتى تتكشف لها الحقيقة واضحة نيرة . وأن ما ذكرتيه يا آنسة من أن التفاضل بين الناس إنما هو بالعلم النافع والأخلاق العالية هو حق لا مرية فيه ولا غبار عليه إذ هو المقياس الصحيح الذى يجب أن تتسابق فيه الجهود . وميدان فسيح تظهر فيه قوة الشخصية وثبات العزيمة وتتضح الكفاءات العلمية التى تضع صاحبها فى الموضع اللائق به. وعلى ضوء ذلك يسجل التاريخ على صفحاته حكمه النزيه الذى لا يقبل النقض والابرام . . . وإننى لأشعر الساعة بقوة هذه الصلة الروحية البريئة وكمال اخوتنا النزيهة وأعتقد أنها هى كل شىء فى حياتى . وأننى الآن لأقلب صفحة ناضرة فى تاريخ حياتى

مسجلا فيها هذا النور الذى بدد ظلماتى وجعل ليلى نهاراً . وأنعم بها من أخوة فى العلم وزمالة فى الدرس ومحبة فى الوطنية وأعدك يا زميلتى بأن أكون رهن إشارتك فى كل ما هو فيه خير للإنسانية المعذبة والساعد الأيمن. لكن فى محاربة ما يسمونه بفوارق الطبقات حسب أهوائهم وأغراضهم . وأغتنم هذه الفرصة السعيدة فأقدم إليك أسمى عبارات الشكر وأرق آيات الثناء على نفسيتك الطاهرة التى صيغ من النور كيانها . ولن أنس ما حييت هذه المودة الطيبة والإخلاص الكريم وسيبقى على مر الدهور كنزاً غالياً ونوراً وضاءاً يبدد غياهب الظلمات ويكشف ما حجبته صروف الأيام . ويفتح لى باب الأمل الباسم على الدوام . فلا حرمنى الله من كريم اخوتك وأبقى الله بيننا هذه الصلة الروحية والمودة الأخوية ما دامت الأفلاك فى برج السماء ! ! . .

وما إن سمعت الآنسة « فتحية » هذا الحديث حتى انفرجت

أسارير وجهها واغتبطت لهذا النصر الموفق ونظرت إليه ضاحكة مستبشرة وقالت : الآن وقد فهم كل منا أخاه كما يجب وعلى حقيقته . ولسنا فى حاجة إلى أن يشكر كل منا الآخر حيث أننا روح واحدة تهيم فى سماء المجد والعلا وتنتقل فى جسمين لا ثالث لهما وإلى اللقاء فى الغد القريب يا عزيزى . . . ودعها وفى نفس كل منهما من السرور والاغتباط ما فيها .

الفصل الرابع

هاهى ذى الغزالة ترسل اسلاكها الذهبية على العالم فتكسوه وراً وإشراقا والجو بهجة وبهاء!! وإننا لنسمع تغريد الطيور وهن ينشدن لحن الصباح ويرتلن تباشير الهيام فرحا واغتباطا وسروراً وانشراحا . وإن « فتحية » لتستيقظ مبكرة فتفتح النافذة المطلة على الحديقة لتستقبل بسمات الشروق الرطبة ونسمات الهواء الطلق وتنظر إلى الدنيا بعين الرضا والمرح وإنها لجد مسرورة بهذا اليوم السعيد الذى ستقضيه مع أحب الناس لقلبها وأدناهم لفؤادها . وهاهى تقلب الطرف يمنة ويسرة متغزلة فى جمال الكون ونضارة الحياة حتى وقع نظرها على منظر فى حديقتها استرعى كل انتباهها مما كان له أعمق الأثر فى نفسها وكأنها تترجم فيه فلسفة الطيور . وهو . عصفور مع وليفته كانا فى ثورة

حادة ونقاش طويل انتهى بهدوء وسلام وصارا ينتقلان بين الورد والريحان فيدعوها لتشاركه التمتع بجمال هذه الزهور التى تفتحت اكمامها وأفسحت صدرها لتستقبل العشاق مما لم تعبث بها أيدى المحبين وصرعى الغرام . فتجيبه لطلبه وكأنها تقول لقد أحسنت الاختيار وبرهنت عن ذوق مرهف وإحساس نبيل. ويتناجيان وما أعذب النجوى ويتحادثان وما أرق الحديث ثم تتركه بدلال طالبة منه أن يشاركها فى منظر آخر لا يقل روعة وجمالا عن سابقه ، فيسرع ملبيا طلبها ومنفذاً رغبتها . وهكذا دواليك مكثا ينتقلان من فن إلى فن ومن غصن إلى آخر فرحين مسرورين حتى اختتمت هذه المداعبات الرقيقة بأن وقفا جنبا لجنب وتعانقا طويلا . وودع كل منهما صاحبه إلى حيث الرزق وسبل العيش . ، وبانتهاء هذا المشهد الغرامى البرىء الذى كانت « فتحية » تتابع رؤيته بشغف واهتمام . انتبهت ومكثت برهة غير وجيزة تفكر فى هذا الذى رأته وما كانت له من نتائج جميلة

مما حرك فى نفسها عوامل العاطفة المتأججة وأثار فى قلبها نيرانا مضطرمة وأحست أن لديها فراغا هى فى حاجة ماسة إلى من يشغله وشعرت بالوحدة والظمأ . . . وأن قلبها ليحدثها وضميرها يناجيها بأن زميل الدروس وعبقرية العلم «فتحى عادل» هو محور دائرتها والمسيطر على جميع مشاعرها بل هو رجلها المنشود ومنيتها فى الحياة . وأنه الشاب المكتمل فى رجولته والإنسان الوديع فى شخصه . الهادى فى نفسه . المتزن فى عمله النبيل فى أخلاقه . الصريح فى معاملته والجميل الجذاب فى سمرته . القمحى فى لونه . الرقيق فى شمائله . وذى السحر الحلال فى حديثه ورقة نقاشه . . ثم تمنت أن تمر الساعات سراعا حتى يحل الوقت الذى تمتع فيه الروح المتعطشة بجانب حبيبها وتمثل هذا المنظر الذى شاهدته عمليا فى أدوار حياتها حتى تفوز بالأمانى الحلوة وتهنأ بالسعادة الجميلة التى تنتظرها ولتضع اللبنة الأولى فى بناء بيتها وتشييد مجد المستقبل . . ! !

وأننا لنشاهد « فتحية » وهى تقود عربتها الخاصة مسرعة تنهب بها الأرض ذاهبة إلى موعدها المرموق . وهناك حيث الجنان الخضراء تجد حبيبها فى أحر شوق وتلهف . وانتظار . فما أن أهلت بطلعتها البهية وأشرقت بنورها الزاهى حتى أسرع لملاقاتها مسلما ومبديا كل فرحه وسروره بهذا اللقاء الحار . . وأجابته بقولها : إن حبى لك لا يعادله حب. وهيامى بشخصك لا يماثله غرام لأنه قدسى طاهر أنا موحية به من الأعماق. لم تدنسه الأغراض أو تخالطه الماديات فتفسد روحانيته وقدسيته أو تحل بساحته النقائص . وأن نار فؤادى لن يخفف من وطأة لهيبها إلا وجودك بجانبى وإن ظمئى لن يرويه إلا بسماتك الوضاءة وروحك الفياضة ونظراتك السحرية . ونود اليوم أن نغذى العاطفة ونشبع الروح ونهيم فى دنيا الحب والجمال بعد أن أدينا واجبنا العلمى وقمنا بغذاء العقل على أكمل وجه وأحسن حال ونحن الآن فى حاجة بعد هـذا المجهود الـكبير وتلك التضحية

الشاقة إلى أن نرفه عن أنفسنا بعضا من الوقت ونريح أعصابنا ردحاً من الزمن حتى نعيد إلينا ما فقدناه من جراء ذلك الاجهاد وبذلك ننعم بملذات الحياة ونهنأ بمسراتها ونشرب كأسها الحلو لنشعر بالراحة والهدوء أليس الأمر كذلك يا عزيزى .؟؟ لبيك شقيقة الروح وسعديك مالكة الفؤاد يا من سكنت فى السويداء من قلبي فشغلت ذلك الفراغ الشاسع الذى بقى دوما فى كبت وحرمان ولم يشعر بطيف السعادة يوما من الأيام. فإذا بهذا الفراغ المقفر تحل به السعادة الأبدية وتملأ جانبيه فيحس بالنور والطمأنينة بعد الظلم والاضطراب . . وأن روحك الطاهرة ونفسيتك الملائكية التى تهيم فى علياء سمائها وترفرف فى ملكوتها إذ تهبط على قلب متعطش ولهان محروم من الذكريات وما يتمتع به الناس من آمال وهناء إذ وتضفى عليه من طهرها وجمالها ونورها وبهائها ما يعيد إليه الحياة ويجدد فيه النشاط . ويفتح أمامه باب الأمل البسام ونور السعادة الوضاء . فيحس

بأنه إنسان له أنه يعيش كما يعيش الناس وأن ينعم بملذات الحياة ومسرات الوجود كما ينعمون . وكلى يا عزيزتى آذان صاغية وعيون واعية تنفذ كلما ترغبين وتفنى فى تلبية ما تطلبين والرأى ما تقولين . والحق أننا قد اجهدنا روحينا فى أداء واجبنا المدرسى لنبنى مجدنا على أسس قويمة ونشيد صرح سعادتنا على تقوى من الله ورضوان . والحمد لله وقد تحقق لنا ما تمنينا وظفرنا بما أردنا من نجاح وتقدم . . وحرى بعد ذلك أن ننعم ونرقص ونطرب شاكرين الله تعالى على هذه النعم الجزيلة والمنن الوفيرة . . وهلمى بنا يا روحى نشارك الطبيعة فى جمالها والطيور فى أفراحها والزهور فى أريج عبيرها وطيب رائحتها ولنرى الأشجار فى رقصها ، وتيه دلالها حتى نطرب بتلك الموسيقى السحرية التى يعزف بها الزمن على أوتار الأشجار من نسمات الاسحار وهاهى الدنيا بأسرها ترحب بمقدمنا وتفسح لنا صدرها : تبارك حبنا وتغتبط بتآلف قلبينا فى سبيل الله والوطنية وحرى بنا أن نغتنم

هذه الفرص الذهبية التى قل أن يجود بها الزمن أو تسمح بها الحياة . انظرى معى إلى هذا الطائر الجميل وهو يداعب محبوبه فيا له من دلال وخيلاء ويا له من طهر وبراءة إنه يرفرف بأجنحته نشوان مغتبطاً وفرحا مسروراً وهى تستسلم له وتنسى نفسها بجانبه وها هما يتعانقان ولا يشعرن بما حولهما فهما فى سكرة ساهون وعما فى الدنيا غافلون .. وما أن شاهدت «فتحية» هذا المنظر وسمعت من حبيبها هذا الوصف الذى يعبر عما يختلج فى فؤادها من لوعة الهوى والغرام حتى تذكرت منظر الصباح فتأثرت ولم تستطع ضبط عواطفها الثائرة أو تمسك أعصابها المتوترة فارتمت على صدره ذاهلة ساهية وتفرق شعرها الذهبى على وجهه مداعبا فأحس لذلك نشوة واغتباطا وآمال رأسه نحوها قائلا أمتعبة أنت ياعزيزتى؟؟ وهل أنت فى حاجة إلى الراحة ؟ ففتحت عينيها ناظرة إليه ووجدته مطوقا خصرها النحيل بإحدى يديه ومداعبا شعرها المرمرى بالأخرى فافتر ثغرها عن

ابتسامة فاتنة وشعرت بالسعادة والراحة تسرى فى شرايينها وأحست أنها فى عالم غير دنيانا وضمته إلى صدرها وقالت . إن راحتى وهنائى أن أعيش بجانبك وكل آمالى فى الحياة أن أكون بجوارك متمتعة بقربك سعيدة بحبك حافظة لودك وأخلاصك فأنت حياتى مناى وأنت مثلى الأعلى فى الوجود بل النور الذى تربع فوق عرش قلبي . حبيبي « فتحى » أنا أحبك من كل قلبي وأفديك بكل غال ونفيس لدى . وهاك روحى فوجهها إلى الخير بعلمك واهدها إلى الصراط المستقيم بنورك فهى رهن إشارتك وطوع بنانك الخاضعة لظرفك وعظيم خلقك . ! وأطبقت عينيها حياء ولم تقوى على متابعة النظر إليه . وكان « فتحى » طول هذه الفترة يسبح فى هذا الجمال البديع الذى وجد فى أحسن صورة . وقال لا أدرى كيف أعبر عما فى نفسى من مشاعر فياضة وما يختلج فيها من لواعج الشوق ومن تباريح الهيام ولن أدرى بم أصفك ولعل الشاعر يعنيك بالوصف حين يقول .

حسناء خالقها أتم جمالها سألته معجزة الهوى فأنالها
لما حباها الله جل جلاله بالحسن منفرداً أجل جلالها
طلبوا لها شبها يضيء ضياءها لهوى النواظر أو يدل دلالها
أما السما فجلت عليهم بدرها
والأرض قد عرضت لذاك غزالها
لكنها نظرت فأخجلت الظبا وتلفتت للبدر فاستحيا لها

وفتحت عينيها وقالت أتراني كذلك !! وتحبني كما أحبك .!! فأجابها عمليا وطبع على ثغرها قبلة عميقة سكرت منها وكان لها فعل السحر وكأنها الشهد فى نفسيهما ... وهكذا مرت تلك الساعات بسرعة البرق وساعات التلاقى والسرور طويلة: قصيرة طويلة فى عرف الناس واصطلاح الزمان . قصيرة عند تلاقى العشاق واجتماع الأحباب .

ثم أفاقا بعد طول عناق وطفقا يجددان نشاطهما بإحدى اللعب الرياضية وكانت ضحكاتهما تخترق الفضاء. بعيدين عن كل

صخب وضوضاء ترفرف عليهما أعلام السعادة والنعيم ومن ثمَّ امتزجت روحاهما وسمت إلى أعلا درجات الأخوة والكمال وربطت بينهما برباط المحبة والوئام . . وبينما يسيران الهوينا فى هدوء وجلال ويتجاذبان أطراف الحديث وما أرقه ويتبادلان النكات وما أعذبها . تذكرت فتحية، فاستخرجت بطاقة الدعوة للحفلة الساهرة التى ستقيمها أسرتها تكريما لنجاحها . . فيقرأ فتحى، ما فى الدعوة وما أن يقع نظره على كلمة جاء فيها وهى : الحضور بلباس السهرة : حتى تنقبض نفسه ويتغير لونه ويطأطىء رأسه متألما .. فتنظر إليه باستغراب ما هذا يا فتحى ماذا دهاك ؟؟ . لا شىء ياعزيزتى غير أن فكرى قد سبح فى خيالات هى أقرب إلى التشاؤم منها إلى التفاؤل !! .. أنا متأسفة خالص إذ كنت أعتقد أن حفلة كهذه ستجلب إليك السرور بما سيكون فيها لاسيما وأن أبى يود أن يرى النبوغ متجسما فى شخصك والعبقرية متمثلة فى هيكلك . فقاطعها بقوله لا تحملى كلامى هذا

على محمل سيء. أو تؤولى تفكيرى إلى عدم مشاركتى للاسرة فى أفراحها بنجاحك بل على العكس فأننى مدين لك بكل حياتى وعقلى وأتمنى لك الخير والسعادة أكثر من نفسى ! ! . . إذا أصدقنى الحديث وكن صريحا كعهدى بك وهل تخفى عنى سرك وأنا أحب الناس إليك ؟؟ . الصراحة يا « توحة » إننى أخشى قسوة الزمان وانهيب بطش الحدثان ولا أدرى ما يخبئه لنا القدر فى سجلاته وما يوجد فى كفة القضاء من سهام أو سرور .. وأنا إنسان لم تندمل جروحى بعد من جراء ماتراكم على من قسوة الحياة وتعسف دنيايى وهل من العدل ياربيبة النعمة وسليلة المجد يا من وجدت رافلة فى حلل الرخاء والنعيم أن تزجى بى فى وسط لست منهم وبين قوم يعتقدون أنفسهم أنهم فوق مستوى البشر لايحترمون إلا من على شاكلتهم من ذوى الجاه والثراء ولا يقدرون إلا أصحاب الألقاب الضخمة من الرتب والنياشين . وأنا إنسان ثروتى فى الحياة أن عيش عزيزا أبيا . أحافظ على كرامتى من

أن تخدش وعلى سمعتى أن تلوث وشرفى أن يهان . ولا تتحمل طبيعتى مظاهر الكذب والفجور أو ترضى بالنفاق والرياء وأكره شيء لدى هى مظاهر الملق والخداع ودنيا الصخب والضوضاء . فهلا تعفينى من التشرف بهذه الحفلة الساهرة ؟ ؟ .

لالا يا « فتحى » أرجوك أن لاتجرح شعورى مرة أخرى بما تقول والله يعلم أن ماتقدمه من أدلة وبراهين فى سبيل الاعتذار هى أوهى من خيوط العنكبوت لاقيمة له عندى ولا اعتبار له فى نظرى . فلا تجهد نفسك بالتفكير فى المستقبل وأتركه لله وهو أرحم من أن يخيب رجاء عبده وأنى لأظنه مستقبلا كله خير وهناء إذ أن من كان فى درجتك فى العلم القدير والأدب العالى والخلق الرفيع لجدير به أن لايكون فنوطا متشائما بل حرى بك وبأمثالك النبغاء أن يكون نظرهم إلى المستقبل دائما يحدوه الأمل الباسم وتحققه السعادة وينيره الأشراق : ولا أدرى كيف أعلل عدم تشريفك الحفلة تمسكا باعتبارات زائفة وعملا بمظاهر

خادعة . وهل درجة العلم ومكانة الأدب والأخلاق أدنى من الثراء والجاه وأقل من المال والألقاب . ؟ . وأراك دوما تحط من قدر نفسك وتعلن الحرب على زمانك سخطا على وضعك الخالى وتبرما مما وهبتك الطبيعة من غالى الثمار وعزيز المواهب وجميل الكفاءات . ! إنك فى مكانة يا عزيزى يحسدك الكثيرون عليها ويتمنون أن يظفروا بها وهى أفضل شىء توهبه الحياة لأبر أبنائها وأعظم هدية تقدمها الأسعد فلذة اكبادها ألا وهو شرف العلم وسمو الأخلاق وعظيم الآداب . وبهذا مدح الله نبيه بقوله « وأنك لعلى خلق عظيم » .

يتضح لك من هذا جليا أن مكانة العلم أشرف وأجل من درجة المال والجاه . ومن الخطل أن نوازن بينهما وإلا فاسمع معى قول الشاعر .

من قاس بالعلم الثراء فأنه
فى حكمه أعمى البصيرة كاذب

العلم تخدمه بنفسك دائمـــاً

والمـال يخدم عنك فيه نائب

والعلم نقش فى فؤادك راسخ

والمال ظل فى فنائك ذاهبُ

هـذا على الانفاق يغذر فيضه

وذاك حـــين تنفق ناضب

وأمير الشعراء شوقى بك يقول :

إنمـا الأمم الأخلاق مابقيت

فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولست فى حاجة بعد هذا إلى أن أقول لك أن الحفل أقيم لتكريم العلم ونحن فيه سواسية . وأنا إن حق لى أن أفتخر فأنما أفتخر بما وهبنى الله من لذة العلم وثروة الأدب لا بما لأسرتى من عظيم المـكانة فى الدولة وكبير الجاه والثراء فى هذا البلد . وإن أصابك سوء فى منزلى أو لحقتك أدنى أهانة فسأدفع الثمن غاليا

من لحمى ودمى . وستكون موجهة لشخصى أنا التى هو أنت .»
وأشارت بإحدى أصابعها . فابتسم « فتحى » شاكراً وضمها إلى
صدره فرحا مغتبطا وقال . بكل سرور اتشرف بزيارة منزلكم
وسأشارك فى الحفل بكل جوارحى تلبية لسامى رغبتك وتحقيقا
لأمنيتك وما كان لى أن أتراجع بعد أن سمعت هذه الحكم العاليه
وتشرفت بهذا الدفاع الحار الذى استند إلى حيثيات صحيحة وتأيد
بمواد من القانون صريحة . مما يدعونى إلى التسليم بلا قيد ولا شرط .
ولقد اتفقنا ياعزيزتى . فقالت كم أنا مسرورة ياحبيبى بهذه النتيجة
الباهرة التى توصلت إليها بعد طول عناء وسأنتظرك فى الساعة الثامنة
من مساء الغد وإلى اللقاء ياروحى : إلى اللقاء ياحبيبتى . !

الفصل الخامس

رجع فتحي إلى منزله ونفسه تطفح بالبشر والسرور وقلبه مملوء بالغبطة والحبور . وأنه ليمشي الخيلاء ينشد السعادة في كل شيء وينظر إلى المستقبل نظرة كلها أمل باسم وإشراق جميل وحلم لذيذ ودخل على أمه فاستقبلته بالبشر والترحاب ورأته سعيداً مسروراً فقالت له . لعلك قضيت يا بني وقتا سعيداً وحظا جميلا . وكم أتمنى أن أراك دوما منشرح الصدر مغتبط الفؤاد ممتعا جسمك الذي انهكه العمل المتتابع والجد المتواصل . مرفها عن نفسك المنقبضة وروحك الضيقة وما كان لك ذلك وأنت في عنفوان شبابك وريعان فتوتك وربيع حياتك إلا لأنك أتعبت نفسك وحملتها من الاجهاد فوق ماتطيق . وإنني لأدعوا الله ضارعة متوسلة أن يجعل السعادة في ركابك والهناء

فى حياتك وأن تعيش فى رغدوسرور . وأن نفسى يابنى لتحدثنى اليوم بأنك غير الأمس . فإن لوجهك نوراً وإشراقا ولروحك سعة وانطلاقا . أرجوا أن يتمهما الله عليك ويشملك بعطفه ويحفك بجليل نعمائه .

شكراً يا أماه على ماتحبونى به من جميل العطف وعظيم الرعاية فأننى لأشعر بكريم أياديك البيضاء وخالص دعواتك الطيبات التى تنبعث من أم حنون لفلذة كبدها . وإننى لأتمنى أن ياتى ذلك اليوم الذى أستطيع فيه أن أقوم ببعض مايجب على نحو وفائك الكريم . وإن حدبك على وحبك لشخصى هو سبب نجاحى فى الحياة وتوفيقى إلى الرشاد . وكم أنا سعيد اليوم ياأماه بتلك اللحظات الجميلة التى قضيتها مع زميلتى فى الدراسة وشقيقتى فى التعليم . فاجابته أهى الآنسة « فتحية » يابنى . ! أجل ياأماه . الحق يا بنى أنها ابنة حلال ومن ناس طيبين ومن أصل عريق فى المجد والكرم . ألا تعلم حبها وعطفها على أخيك الصغير

« سمير » وكم تحضر له كثيراً من الحلوى والشيكولاتة والهدايا الثمينة الفاخرة مما لا يقدر بثمن والجواهر النفيسة التى لا تقع تحت حصر . أنظر إلى هذه الهدية الذهبية وقد نقش عليها « هدية لك ياسمير » فتحية . وفى كل مرة أجد فى داخل الهدايا هذه المبالغ الكبيرة من فئة العشرة جنيهات مما كنا نحلم به فى الماضى أو نسمع عن ذلك من الناس وربنا يبارك فيها ويسعدها فى بيتها ويرزقها بابن الحلال الطيب . فضحك فتحى حين سمع من أمه ذلك وقال لها إن أسرتها ستقيم حفلة ساهرة كبرى تكريما لنجاحها . ودعتنى للحضور مصرة على طلبها وهاك بطاقة الدعوة . لكننى خجل من نفس وتتجاذبنى عوامل خفية لا أدرى كنهها وأشياء تمنعنى من الذهاب لأننى لم أتعود ذلك فى حياتى ولا أود أن أخالط هذه الأجواء الموبوءة أو ازج بنفسى فى احضان السوء والنفاق ولكن ماحيلتى ولم تقبل فى ذاك عذرى . لا يافتحى أحسن الظن بالناس ولاتكن قاسيا فى حكمك أو شاذا فى

معاملتك بل كن سهلا لينا لطيفا حليما تسد الناس بهذه الأخلاق وتحببهم فى شخصك ولا تتأثر بهذه الأفكار السوداء وتنظر إلى الناس بذلك المنظار القاتم وكن أسرع الناس إلى مشاركتها فى أفراحها ومشاطرتها مسراتها تحز رضاها ولا تخلف الوعد فإن الله لايخلف الميعاد . وأنهـــا لتحبك لأدبك وعلمك وأخلاقك وحذارى يابنى أن تقابل الإحسان بالهجران وأن تكفر بالنعمة وما جزاؤها إلا الطرد والحرمان : سمعا وطاعة يا أماه وسأضع نصائحك الغالية وإرشاداتك النفيسة نصب عينى ومحط رجائى حتى أكون عند حسن ظنك بى . فقبلته فى جبينه وتمنت له ليلة سعيدة وراحة تامة وهناء وسلام .

ها هو ذلكم القصر البديع قد لبس أفخر ثيابه وبدى فى أجمل مظاهره وأبهى حلله . فقد علقت عليه الثريات الكهربائية ونصبت فيه الزينات الجميلة ورفرفت فوقه الأعلام الخضراء وفرشت الأرض بالرمال الحمراء . وانعكست تلك الأنوار

المتلألئة على صفحة الماء فكنت تشاهد أبدع آيات السحر وأروع مناظر الجمال . وتأبى حديقة الدار إلا أن تشارك الجميع تلك المسرات والأفراح فتظهر لهم فتياتها الرشيقات وأزهارها الغيد الحسان يستقبلن الزائرين ويرحبن بالقادمين . ويعطرن الجو بأريجهن الجميل ورائحتهن الزكية مما يكسب المكان رونقا وبهاء ويعطيه جمالا وسناء حتى جعل الليل نهاراً والظلام نوراً وهاجا . وما وافت الساعة السابعة من هذا المساء حتى أخذ المدعوون يفدون تباعا . أفراداً وأسراً كاملة . وهاهم كبار رجال الدولة وعلية القوم فى هذا البلد يؤمون هذا المكان تعلوا وجوههم الغبطة والمرح . وأن المكان ليزدحم على سعته بكثرة العربات الفخمة التى كانت تقل كبار الضيوف والوجهاء . وأنك لتشاهد عميد الأسرة . م . ح . باشا . وحرمه المصون يرحبان بالضيوف . ويستقبلان الزائرين بالبشر والترحاب . ثم تعالى معى نشاهد البدر ليلة تمامه ونرى النور فى أبهى زينته

وهنائه ونمتع النظر بهاته التى هربت من الحور العين وقد ارتدت ثوباً سندسياً فضفاضا يشف عن جمال يسحر العقول وتخفق له القلوب . ويحير الألباب ويعطر المكان بسحره وجلاله وجماله ووقاره . أعرفتها ؟؟ . إنها الآنسة « فتحية » تنتقل بين المدعوين موزعة عليهم تلك الابتسامات المشرقة والضحكات الرنانة . والجميع عيون شاخصة إليها والكل أنظار متوجهة نحوها أينما سارت وحينما هبطت وفى أى بقعة حلت . وأنهم ليتمنون أن يظفروا بشرف محادثتها وعذوبة منطقها ويسعدوا برقة شمائلها وصفاء سمائها . لكنها عدلت بين الجميع ووزعت التحيات بالقسطاس المستقيم . وكان المدعوون يقبلون يدها مهنئين راجين لها كل سعادة وهناء . أوشك الحفل على الكمال . وأخذت كل أسرة تتجاذب اطراف الحديث وحلو الابتسامات ولا تسمع إلا صوت الضحكات والقبلات ولا تقع عينك إلا على معرض للجمال وكتل بشرية كأنها السحر الحلال . وكلما دنت الساعة

من الثامنة حتى نجد « فتحية » تذهب إلى الشرفة المطلة على الباب وتجئ منها وهى قلقة مضطربة لتأخر « فتحها » لكن « فتحى » وقد حان الموعد حتى أخذ يعد العدة للذهاب إلى الحفلة وأصلح من هندامه ولبس أفخر ثيابه وتأسف لعدم وجود زى السهرة لديه ثم توجه راجلا مسرعا وهاهو يشاهد هذه المناظر الخلابة وتغمره الأنوار الكاشفة عن جمال باهر وصنع بديع الاتقان وكأن الدنيا قد وضعت ركابها هنا فخلعت عليه جمالها الأيام وعلائم البشر والسحر قد حلت فى هذا المكان وليس فيه موضع لقدم من تزاحم العربات وكثرة المشرفين والخدم . وأنه ليتقدم ونفسه وجلة مضطربة مما رأى وسيرى ، وعند ما هم بدخول الباب أوقفه أحد المشرفين على النظام قائلا له . من فضلك الدخول بملابس السهرة وهل معك رقعة الدعوة . فبهت من فوره وشعر بخيبة الأمل وتأنيب الضمير حين فتش فى جيوبه عن التذكرة فلم يجدها وتذكر أنه نسيها فى بذلته الأخرى ولكنه ظفر ببطاقة خاصة

منقوشاً عليها اسمه . وطلب منه أن يوصلها إلى الآنسة « فتحية » ورجع القهقرى حتى يأتيه الإذن بالدخول ، وما أشد ألمه وأعظم حسرته حين فوجىء بهذه القيود الجبارة وتلك التقاليد الصارمة التى لا تبيح لأبناء الدنيا أن يشاركوا إخوانهم فى مسراتهم وأفراحهم قائلا فتبا لهذه النظم البالية والعادات السقيمة والتقاليد الجوفاء . وسوف لا نقف أمامها مكتوفى الايدى بل سنحطم هذه الأغلال وننزع هذه القيود ونزيل هذه التقاليد الجوفاء ونكشف النقاب عن تلك المساوىء التى تلبث ثوب النفاق والرياء والملق والخداع حتى يشعر العالم أجمع بالأخوة الصادقة والتحابب والمودة ويتذوق الناس صفاء الألفة والوئام .

وما أن وصلت الرقعة الى « فتحية » حتى اهتز جسمها وخفق قلبها وذهبت مسرعة لاستقباله ونفسها تقطر بشرا وسرورا وما أن رآها المشرفون والخدم تسرع فى الحديقة حتى خفوا اليها ووقفوا لها صفين اجلالا واحتراما ولم تكترث بهذه

المظاهر كلها بل كانت ترفع الصوت فى وجوههم قائلة « فين فتحى بك » احضروه حالا . إيه الفوضى دى وتفرق الجميع يبحثون عنه... ويتقابلان وجها لوجه وترحب به وتبدى شديد أسفها لما حدث مما لم يكن فى الحسبان أن يحدث وتتأبط ذراعه ويدخلان سويا . وينسيه جمال المكان ما قد كان . ويقدم اليها التهنئة فتقول له : أنت أول من يقدم اليه التهنئة وهل ترى هذه الدنيا بأسرها وكل ما هو حولك من جمال المظاهر وبديع الزينات وماتشاهده من كتل بشرية هى آية فى الرونق والجمال. لم يستطيعوا أن يدخلوا السرور على قلبى المتعطش للقياك ونفسى التى لا يسرها إلا رؤياك فسر ياحبيبى فالجميع رهن اشارتك وحسب امرك . فالحفل أقيم لتكريم العلم وأنت نابغته !! عفوا يا آنسة فانك لتبالغين فى الحفاوة بى وتلبسينى ثوبا لست اهله وتضعينى فى منزلة أنا دونها بكثير ... فتضحك « فتحية » بصوت مرتفع وتقول هذا تواضع منك يا فتحى بك ... ويدخلان صالون الأسرة

فتقدمه اليهم .. هاهو ذا زميلى فى الدراسة يابابا ونابغة الكلية ، فتحى بك عادل ، ويصافحه سعادة الباشا قائلا : أهلا بك يا ابنى فلقد تمنيت أن أراك لأكرم العلم فى شخصك النبيل وان ابنتى لتذكرك دوما بالثناء العاطر وتمدح فيك خصال النبل والكمال ... ورحبت به الأم أجمل ترحيب ودعته للجلوس فى الصالون . فشكر لهما هذا الشعور الفياض وذلك الاحساس النبيل وأبان لهما أن الفضل فى ذلك راجع الى الهام أخته الآنسة « فتحية » بما لها من ذكاء حاد وبديهة حاضرة وبما لها من تربية عالية وما جبلت عليه من حب للعلم والعرفان .. ستشكر يا ابنى هذا من كمال خلقك وعظيم نفسك وكثير أدبك وانها لتدين لك بكل تقدم ومعرفة .. ودخل الصالون أحد مدرسى الكلية . فرحب به أفراد الأسرة مبجلين وما أن وقع نظره على « فتحى » حتى احتضنه قائلا أهلا وسهلا بالغرس الطيب والجنى المثمر والتلميذ النجيب ... أما أنت يا فتحية فلك منى أرق تهنئة على

ما أظهرت من كفاءة عالية وما برهنت عليه من عقلية جبارة رفعت من قدر الفتاة المصرية الى الذروة وسمت بها الى العلا والمجد وكل ادارة الكلية ألسنة تلهج بالثناء العاطر مقدرة لك هذه النتيجة الباهرة التى أسفرت عن نجاح وتفوق . ولا عجب فالشيء من معدنه لا يستغرب . فأنت غصن الدوحة الفينانة وفرع ذلكم الأصل العريق فى المجد القديم فى الرياسة . . أنا شاكر لك يا أستاذ هذه الأيادى البيضاء ومقدر لك وازملائك هذا المجهود الجبار وما تؤدوه للوطنية من جليل الخدمات فأنتم أصل التربية ومصدر الغذاء الروحى الذى أثمر وأينع وأتى أكله ضعفين ولم يظلم منه شيئاً فإليكم يرجع الفضل وينتسب النبل .. عفوا ياسعادة الباشا . . .

ثم انتقل الجميع إلى : بوفيه واسع تناولوا فيه ما لذ وطاب من متنوعات الحلوى ولذيذ المرطبات . . وإن « فتحى وفتحية » ليلازمان بعضهما ولا يكادان يفترقان وكانت الأنظار تتبعهما

وتكثر الهمسات من أجلهما وكان حديث الجميع ذلك الفتى الأسمر الذى يشغل كل فراغ « فتحية » ولا تكاد تفارقه لحظة وإنهما لسعيدان وكل منهما مغتبط بصاحبه . . ولكن يبدو أن هذا الشاب من الطبقة المتوسطة أو هو من طبقة الدنيا . فليس عليه من آثار النعمة ولا من جمال المظهر ما يجعلها تتعلق بحبه أو تأنس بغرامه . وهكذا كانا محط الأنظار ومغنما للهمسات وكثرة الضحك والنكات . حتى حول هذه الأنظار وقطع تلك الهمسات . صوت الموسيقى وهى تعزف بالسلام الملكى إيذانا بافتتاح الحفلة .

وها نحن نشاهد احدى الفتيات الرشيقات ممن تمت الى الأسرة بصلة القرابة . تقف . فيقابلها الجميع بالتصفيق الحاد . وتوجه الشكر للحاضرين على مشاركتهم للأسرة فى أفراحها بنجاح ابنتهم الكريمة ربيبة المجد وسليلة العز والشرف الآنسة « فتحيه هانم » على ما أحرزته من تفوق عظيم ، وما

أظهرته من تقدم على جميع الأقران وهى بهذه النتيجة الباهرة تثبت للتاريخ النزيه أن الفتاة المصرية جديرة بكل تقدير وإجلال وأنها تفوق زميلتها الغربية بمراحل ، ولست مغالية إن قلت إنها بزت الفتيان فى ذلك المضمار العلمى والتنافس الأدبى . وأنها لتضرب المثل عاليا وترفع الراية خفاقة مما يجعلها تؤدى واجبها فى بناء مجد الوطن وتشييد أركانه على دعائم قوية من العلم والعرفان ، ولهذا فليس هناك محل للنظرية الخاطئة التى تلصق بالفتاة المصرية كل معانى التأخر والجمود .

ثم اختتمت كلمتها راجية للجميع كل سعادة وهناء . فصفق لها الحاضرون طربا واستحسانا وشيعت بالاعجاب والتقدير . وطلب الجميع من المحتفل بها كلمة وأصروا على ذلك . وإنها لتنزل عند رغبتهم وتلبى طلبهم . وتبدأ حديثها شاكرة لهم حسن ظنهم بها وجميل تقديرهم لها وكريم حفاوتهم ثم قالت أنها توافق أختها فيما ذكرته أن الفتاة المصرية اثبتت كفاءة وجدارة يرفعان

من مكانتها ويشيدان بذكرها مما يجعلها تعيد ماضيها المجيد وتسترد تاريخها العاطر حينما كانت توطد أركان الحضارات وتثبت دعائم المدنيات الصحيحة على أسس قويمة مما جعلها تنظم الجماعات وتحكم الأمم وتملك الدنيا فى أزمنة مختلفة وعصور متباينة. وليس معنى هذا أننى أجرد الفتيان فى نبوغهم أو اسلبهم مكانتهم وعظيم دابهم فان الحق والانصاف ليقضيان على بأن اعترف بالحق لأهله وأن أشهد بالفضل لذويه. إذ أنه يوجد معنا فى حفلنا هذا من كان له السبق على الاقران وأقر له الجميع بالنبوغ والعرفان فكان الأول فى الكلية بامتياز وهو الزميل « فتحى افندى ». وأشارت إليه بيدها فهو أحق منى بهذا التكريم. وفى الختام أكرر لكم جميعاً عظيم شكرى وجليل ثنائى... فانطلقت الحناجر هاتفة بالأعجاب واشتد الدوى بالتصفيق. وابتدأت الموسيقى ترسل نغماتها الشجية وتبعث أصواتها الراقصة والجميع يرقصون طرباً على تلك النغمات. وهاهى الأغانى يرسلها المطربون

فتسحر العقول وتأخذ بمجامع القلوب . وإن الأجسام البضة لتتلاحم والشفاه تتقابل والكئوس توزع يمنة ويسرة والنفوس منها نشوان سكرى . طروبة فرحة . . . وإن « فتحى » ليشاهد هذه المناظر المختلفة وما فيها من تهتك ومجون وفسق وفجور . وخروج عن الطريق المستقيم مما يتنافى وابسط حدود العقل وسرت فى نفسه موجة من الحزن والأسى لهذه الحالة. وتعجب لأدمان المرأة المصرية فى شرب المسكرات مما يخرجها عن حيائها وهو زينتها وحافظ شرفها . أليس فى هذا انتهاك لحرمات الدين المقدسة وموت للفضيلة وإزهاق للانسانية الكاملة . . لكنها الطبقة الادوستقراطية فى هذا البلد لا تراعى الحرمات ولا تتقيد بأوامر الشرائع ولا تخضع لهذه الأحكام التى تلبسهم ثوب الحشمة والوقار والاتزان والكمال لكنهم قوم يجرون وراء كل جديد مما ترسله إلينا أوربا الخليعة من فجور واستهتار . فيستحلون لأنفسهم كل مايجلب السرور إلى نفوسهم ولهم كل الحرية فى أن

يفعلوا ما يشاءون ويتناولون ما يرغبون. لايخشون فى ذلك رباً ولا يهابون قانوناً ولهم ما ليس لغيرهم ولن يكون لغيرهم أبداً وأنه ليقف حين يشاهد الآنسة «فتحية» وهى تمشى مترنحة وبيدها الكأس مذهباً فتقدمه إشرب يا حبيبي !! . . فيجيبها على الفور بشدة . متأسف يا آنسة . فيقع الكأس من يدها وتفيق من سكرتها . ماذا حصل . !! . . أأغضبك أحد . أجبنى بربك!! . . لا . ونظر إليها مليا . أود أن أسألك سؤالا فهل يمكن الإجابة عليه بصراحة .!! نعم لك منى ذلك . . هل توافقين على الفوضى الذى تدور حولنا وتؤمنين بأن ما فى هذا الجو الصاخب من سموم هو حق لااعتراض عليه! وهل تعجبين بهذا اللون الصاخب فى التهتك والسفور الفاضح . !! وهل هذا يشرف هذه الأوساط الكبيرة ويعلى من قدرها ! ! وهل تشاركينهم هذا عن إيمان وعقيدة لن يرجى لك خلاصاً منها أم ذلك راجع لمشاركة الضيوف فى مسراتهم ولموافقتهم حسب أهوائهم لاغير !! . وإن

موقفى هذا ليعتبر قذى فى عيون الحاضرين . وأرانى فى حاجة إلى الراحة والبعد عن هذا الصخب وذلك الضوضاء فهلى تسمحين لى بذلك . !!! أنا متأسفة خالص ياعزيزى «فتحى» على ماأصابك من فتور وما لك من نظر صائب ونقد مر أليم وكأنك بهذا تترجم عما يختلج فى ضميرى ومايجول بخاطرى. وأخبرك الصراحة أن هذه الألوان المختلفة وما تراه من الفوضى لا يعجبنى مطلقاً ولن يساورنى الشك بأنه حق أبداً لكنها أمى سامحها الله وقد أبت إلا أن أتناول هذا الكأس منها طمعاً فى إدخال السرور على نفسى ولم نقبل فى ذلك عذرى لأنى لم أذق لها طعما قبل اليوم وأنا أعتقد أن ذلك يخدش من مكانة المرأة المتعلمة ويضيع حقها ويودى بها إلى الحضيض وهلم معى نبعد عن هذا الصخب إلى الشرفة المطلة على الحديقة لنستقبل الهواء الطلق ونستنشق النسيم العليل . ونتبادل الحلوى والمرطبات حتى تستكمل نشاطك ويعود إليك سرورك إذ أن هنائى لن يتم وفرحى لن يتكامل

إلا حين أراك مغتبط النفس منشرح الفؤاد، ثم جلسا فى الشرفة وقالت له : ألا يعجبك يا حبيبي هذا المكان إنه مهبط للعشاق ووحى للشعراء فيه متعة للروح ولذة للأجسام . . وفى طرفة عين أحضرت لهم تشكيلة من الحلوى وأنواع المرطبات. وشرب كل منهما كأس صاحبه تبادلا للحب والأخاء . . وأعجب فتحى بما وجده من زميلته وما لقيه من صدر رحب وإخلاص عظيم وقال . كم أنا مسرور يا روحى بما وجدت عندك من حب للخير وما لديك من استعداد قوى للهداية والنور وما وصلت إليه الآن من نتيجة باهرة وما عرفته عنك من نفسية عالية تربأبك عن الولوج فى هذا التيار الجارف وذلك الشر المستطير الذى لا يترك أمامه الأخضر واليابس . وإن ذلك الانسان الذى يقدم أعز شىء لديه وهو عقله النير الذى بسببه ارتفع عن مرتبة الحيوان الأعجم ومن أجله كرمه الله. مستبدلا به جنوناً وطالباً لسرور وقتى لا يدوم فهو حرى به أن يتجرد عن الإنسانية المهذبة ،

ولا يدرى أنه بذلك يغضب خالقه ويتلف صحته ويضعف جسمه وينهك قوته . وأن أسفى لشديد من أقدام الطبقة المثقفة النيرة على هذه السميات المهلكات التى يزينها لهم الشيطان لخدعة بنى الإنسان . . وأن ذلك الرجل الذى لا يغار على أهله ولا يحمى الذمار ولا يحافظ على الفضيلة لقمين به أن يتجرد عن رجولته ولا تظنى أنى بدفاعى هذا واعظاً فوق منبره أو راهباً فى ديره أو ناسكا فى صومعته بل أنا إنسان أرى السعادة كاملة فيما أوجده الله للناس من تعاليم حكيمة ومن ديانات سامية فيها كل الخير للعباد والتوفيق والرشاد . وأتمنى للجميع كل الخير . وإننى لسعيد بجانبك ولا أنشد الراحة إلا بجوارك فأنت كل آمالى فى الحياة وغاية ما أطلبه من دنياى وأنا مدين لك بكل راحة وهناء . . . أنا مسرورة الآن يا روجى بما لمسته فيك من رجولة كاملة وعزة وإباء . ثم أخذا يتبادلان النكات ويرسلان الضحكات حتى منتصف الليل . وأخذ المدعوون ينصرفون شاكرين للباشا

ما هيأه لهم من لذة وسمو راجين لابنته كل تقدم وفخار . ثم استأذن « فتحى » من الباشا فى الانصراف فقـــال أتمنى لكم فى العام القادم نجاحاً متفوقاً فى الشهادة العليا وفى سلامة الله وعلى بركته . وودعته فتحية إلى الباب الخارجى وأمرت السائق أن يوصله بالسيارة إلى منزله وودعها على أن يلتقيا فى الغـد القريب فى منزله حتى تقابل محبوبها الصغير « سمير » وإليك بعض الهدايا له تحية منى وإلى اللقاء .

الفصل السادس

ابتدأ العام الدراسى الجديد بجد ونشاط . وأقبل التلاميذ يرتوون من منهل العلم العذب ويرشقون من بحره الفياض ويتزودون بالثقافة العالية حتى أوشك العام على الانتهاء . وأن فتحى وفتحية « ليقضيان » مدة الدراسة بهمة وشغف وجدو واجتهاد وحب ووئام ونوادر وتواصل ومحبة فى سبيل العلم والآداب . وأنهما ليقتلان الوقت فى استذكار الدروس ومناقشة الآراء فى سبيل الحصول على التقدم فى هذه الشهادة العليا وإنها لتضع كل رغبات زميلها موضع التنفيذ وأراحت أسرته من عناء الحياة حتى أصبحت عائلته فى راحة بال واطمئنان خاطر ورغد وهناء .

ولقد حاولت أمها أن تثنيها عن غرضها وتحول مجرى حياتها إلى ترك هذا الشاب البائس الذى تكرهه من قلبها

ولاتود أن تراه . وتطلب منها الاختلاط بالأوساط الراقية والطبقات العليا وأن يكون لها مدرس خاص يساعدها على أداء واجبها حتى ينتهى هذا العام ، ولكن عبثا تحاول ومحالا تطاب إذا أجابتها فتحية . إن هذا الشاب هو الذى حبب إلى العلم ورغبنى فى دراسته مما جعلنى أقدم له كل ما أملك حتى يعيش فى سعادة وهناء لأننى أحب فى شخصه العلم وأقدر فى نفسه الأدب وفى روحه السمو والكمال . فتركتها أمها وهى يائسة من نفسها حزينة لحالة ابنتها وشذوذها لتعلقها بشاب بائس لا يمت إليهم بصلة ولا يتفق مع مكانتهم العالية أو يتناسب وأوساطهم الراقية .

وهكذا تسير دفة الحياة فيسرع الزمن ويجد فى خطواته وينقضى العام وأسفر عن نتيجة باهرة إذ كان . فتحى . الأول ينفوق و « فتحلة » الثانى بعده . ولقد كان لنجاحها هزة فرح وحديثا للاندية والصالونات ومسرحا للصحف والمجلات فكنت

تقرأ تقريظا خاصا بنبوغها وقوة ذكائها فهذا بحث خاص عن شخصية . فتحى . وكيف انه الفقير البائس توصل إلى درجة فى العلم تشهد له بالسبق وتقر له بالفضل . وكنت تشاهد صوراً حية تنطق بتقدم الفتاة المصرية وتفوقها فى العلم ونبوغها فى الأدب وذلك فى شخصية الانسة « فتحية » وانها لجد مسرورة بهذا النجاح الباهر وذلك الفوز المتواصل الذى كان ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

وهاهى ذى مع اسرتها الكريمة يستقبلون الضيوف ويتقبلون التهنئة الرقيقة بمناسبة نجاح ابنتهم « فتحية » فى الشهادة النهائية لكلية الطب « والجميع فى مرح واغتباط . ولقد كان اول قادم عليها هو فتحى فلترحب به أجمل ترحيب ولتستقبله بالحفاوة والإجلال ويجلسان سويا فى حجرة واحدة يتحدثان وما أطول الحديث . وانه ليقدم اليها ارق عبارات التهانى واعذب آيات الثناء على قطف ثمرة جهادها الشاق ذاكرا لها إنك بذلك قد

رفعت من مكانة الفتاة المصرية المثقفة حتى وصلت بها إلى درجة المجد والكمال وطفرت بها إلى قمة العلا والسمو . وإنك بذلك التوفيق تكملين حلقة كانت مفقودة فى تاريخ مصر العزيزة التى هى مهبط الجميع ومحط أنظار الدنيا بأسرها . ثم لبهنأ ذلك المجتمع الراقى الذى ينجب أمثالك من النابغات الاتى يقدرن سمو رسالتهن فى الحياة وما تحتاج إليه الأسرة المصرية من أمهات للغد يخرجن أشبالا يسعد الوطن بهم ويعتز ويفتخر بوجودهم .. فترد عليه قائلة . أنا شاكرة لك ياعزيزى هذه التهنئة الرقيقة ومقدرة لك هذا الشعور الطيب الذى ينبعث من قلب مخلص لبلاده متفانٍ فى حب وطنه وما يرجوه له من رقى وتقدم. والحق أننى لمدينة لك بهذا الجميل وذلك العرفان وأملى أو أرده إليك فى حياتك وكل ما يوجه إلى من ثناء ومدح فأنت أصله وإليك يرجع فضله إذ لولا شديد عنايتك بى وعظيم إرشادك وتوجيهك لشخصى لما وصلت إلى هذه النتيجة الباهرة من العلم .. وإننى لأرى أننا

فى حاجة ماسة بعد هذا العناء الطويل أن نستأنف جهادا آخر فى ميدان الحياة . حرى به أن يوصلنا إلى ما نصبوا إليه من لذة فى الحياة ومتع فى الدنيا حتى تتوفر لنا الراحة التامة وننعم بالذرية الصالحة ونظفر بالنسل الطيب ونربط حياتنا الدائمه برباط النور الإلهى تحت حمى الشريعة الإسلامية الغراء . فما أن سمع «فتحى» بهذا حتى طأطأ رأسه إلى أسفل وانطلق عقله يفكر فى مستقبل لا يدرى كنهه ولا يعرف نهايته . فما كان منها إلا أن قامت من مجلسها وأخذت تداعب شعره وتلاطفه ورفعت رأسه إلى أعلا فابتسم فى وجهها سرورا وتقابلت النظرات ثم قال وهل أنا أهل لذلك النعيم السرمدى وتلك السعادة الأبدية ؟؟ . ولماذا تفضلين العيش فى دنياى المظلمة وتؤثرين هذه الحياة المتقشفة عن حياة اللهو والمرح ودنيا القصور والثراء .؟ وهل ترضى أسرتك العالية بهذا الاقتران تمسكا بتقاليد العصر ونظام الطبقات فى الجاه والمال . ؟ ويكفينى من حياتى أن تدوم صلتنا الروحية وأخوتنا

كما كانت فى العلم والنور . . . لا لا يا « فتحى » أنا أحفظ لك وجيهك وإرشادك وحبك لشخصى وأجد لذة وسروراً بجانبك إذ أن لى من استقامتك وعظيم شرفك ونزاهتك ونبل أخلاقك وسمو مكانتك العلمية ما يحتم على أن أسهر على راحتك وهنائك وأسعى جادة فى تهيئة سعادتك وعالى مستقبلك ولست ياعزيزى ممن يقيسون الحياة بمقياس المظاهر والجاه أو ينظرون إليها بنظرة التفرقة بين الطبقات أو يتقيدون بما تسير عليه التقاليد من أنظمة بالية وعادات واهية بل السعادة عندى أن يبنيها الإنسان بيديه ويخلقها بقوة شخصيته وسامى إرادته حتى يجد لها لذة عليا لا تعادلها لذة وسرور لا يدانيه سرور كما قال الشاعر العربى :

إن الفتى من يقول هأنذا ليس الفتى من يقول كان أبى

ونحن لنا من تآلف روحينا وتوحيد ثقافتنا وتوافق آرائنا ما يوفقنا فى بناء سعادتنا على أساس متين ونظام محكم مبين وكلانا مكمل لأخيه فى حياته ومتمم له فى دنياه . والافهل يعيش

الجسم بدون الروح أو يوجد الزرع بدون التربة ؟ .

إنه لرأى السليم يا « توحة » الخارج من العقل السليم وإنها لأمنيتى السعيدة التى طالما كنت أتمناها من حياتى . والحكم اللذيذ الذى كان يداعب أجفانى جمالا وبهاءاً وأنه ليتحقق اليوم بل إنه الأمل المشرق والبسمة الحنون يبدد غياهب الظلمات وهاهى الدنيا تقبل على اليوم بعد طول إدبار . وترضى على بعد أن كانت تناصبنى العداء . وأنها لتحنو فى وجهى بعد أن كانت هلقما . فهل أتانى صحوة من أمرى أم لا زلت تائها فى دنيا الخيالات وأحلام الأوهام . والحق أننى غير الأمس . ولا أدرى كيف أقدم شكر هذه النعم وأبارك لك هذه الأيادى وكل شعور ينطق بالفضل ويحفظ الجميل وهاك يدى تعاهدك على الوفاء بالزواج وتعدك بأن تكون منفذة لجميع الرغبات . . . ووضع يده فى يدها وابتسمت له قائلة . ألف شكر يافتحى وهلم نشرب نخب سعادتنا الدائمة وربط مستقبلنا العامر . . وهكذا

تعاهدا على الحب والاخلاص والوفاء بالزواج. ثم ودعها وانصرف إلى منزله . .

وإن « فتحية » لتبدو للناظر إليها إنها جد مسرورة ترقص مع حفيف الأشجار وتهتز مع مرور النسمات وتقابل تلك الأسر الكبيرة التى وفدت لتهنئتها فتشكرهم على رقيق شعورهم وعظيم إحساسهم . ثم تقابلها إحدى زميلاتها قائلة لها . أظنك قضيت هذا الوقت مع الزميل « فتحى » ولعله يكون الوداع الأخير لأيام التلمذة .. لا يا أختى إنما هو أول اللقاء فى الحياة الدائمة ولن يكون ذلك اليوم الذى أودع فيه الإنسان الكامل فى شخص « فتحى » . . يبدو لى أنك تبالغين فى حبه فهل ترضين به زوجا لك وقرينا لشخصك وهو الذى نشأ فى بيئة هى مرتع للفقر المدقع والبؤس المر .. فقاطعتها « فتحية » بقولها هونى على نفسك يا ابنة النعيم ويا حفيدة الجاه والثراء . إنك تنظرين الحياة بنظرة غير ما انظر إليها أنا فلقد فهمت من فحوى

حديثك أنك تتأثرين بعادات الزمان وتتقيدين بتقاليد العصر وتتمسكين بتلك المظاهر الخادعة والقشور البالية. وهذه النظرة السطحية التى تنظرينها هى التى جعلتك تحكمين هذا الحكم الخاطىء وتصدقين بهذه النظريات الواهية . وإليك الدليل . . مارأيك فى شخصية نبينا « محمد » عليه السلام . . فهل فى الدنيا قاطبة شخصية تكون بجوارها أو اسمى منها فى المنزلة . ! ! فأجابت بالطبع لا وألف مرة لا . . وهل كان النبى غنيا أو مليونيرا بلغتكم . . . أجابت لا . بل عاش فقيرا . . إذاً ليس الفقر عيبا أو مقياسا للحكم به على الناس ولعلك بهذه الصورة المصغرة قد أخذت فكرة صادقة عن حقيقة الحياة ! ! ! أنا متشكرة يا فتحية هانم على هذه الروح الطيبة وأصارحك بأنى قد آمنت برأيك فى الحياة وصدقت بما جاء فيها من كل حق وانصاف وعدل بين الناس وسوف لاأغتر بعداليوم بتلك النفخة الكاذبة أو أجرى وراء مظاهر خداعة . ثم انصرفا سويا للصالة الكبرى

للقصر حيث كانت تغص بالوافدين الزائرين فقابلتها أمها وهمست في أذنها بحديث طويل فحواه . أن أسرة . . . . باشا . يودون منك أن تجالسيهم إذ أن ابنهم الكبير شكرى بك معجب بك ومحب لك . فنظرت إلى أمها بحدة وغضب قائلة لقد قلت لك مراراً يا أماه أن قلبي مقفل ومفتاحه مع «فتحي» فأريحي نفسك من كل هذا وانا حرة فيما اختاره شريكا لحياتي ومقاسمتي في مسراتي فتركتها امها حزينة يائسة تندب حظ ابنتها العاثر الذي يتعلق بشاب فقير يائس من ابعد الناس عن السعادة والهناء وها هي الأنظار تكاد تنهب جمال «فتحية» الفائق وحسنها الخلاب . وان القلوب لتذوب هياما بفتنة سحرها . وعشقا لنضارة سحرها طمعا في محادثتها الرقيقة او تمتعا ببسماتها الوضاءة ولكن عبثا يحاولون ومحالا يطلبون وكأني بهم يرددون قول القائل .

هي الشمس مسكنها السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع إليها الصعودا ولن تستطيع إليك النزولا

ونعود بك أيها القارىء مع « فتحى » إلى منزله. فحينما دخل على أمه استقبلته بالبشر والترحاب قائلة . كم أنا فرحة مغتبطة لانتهائك من مرحلة التعليم حسب ما كنت أتمنى لك وهأنذا أحضرت لك هدية غالية أدخرتها لهذا اليوم السعيد . وأنها لملابس ذات قيمة وحشمة تليق بمركزك الآن « كدكتور » وأشارت عليه بأن يرتديها لتراه بها . وإنك لتبدوا جميلا يا ابنى فيها . . . ونظر إلى المرآه فتحقق له وصف أمه البديع فقبلها فى جبينها شاكراً لها عظيم أياديها وماتغمره به من عطف ورعاية وجاء أخوه الصغير « سمير » وقال « فين الست فتحية يا أخويا » فتذكر ما كان بينهما من الاتفاق على الزواج . وأخبر أمه بكل ذلك مفصلا . فأجابته . أن بيننا وبينها هوة سحيقة وإن قبلت هى بهذا الزواج فهل ترضى أسرتها التى هى فى ذروة المجد والجاه وقمة العلا والثراء وأنا فى شك من هذا يا بنى ولكنى أغبطها على شعورها الفياض واقدر لها نفسيتها الطيبة وآمل من الله أن

يحقق لكما ما ترجوانه من سعادة وسرور وان يبارك فى حبكما والآن ارح جسمك مما ناله من التعب ووفقك الله إلى ما تتمناه من عز ورقى حتى تقدم للانسانية المعذبة ما اصبح لها عليك من واجبات وودعها إلى حيث الراحة والنوم واستسلم لذكرى يداعب اجفانه واستغرق فى احلام لذيذه وآمال مشرقة بسامة .

الفصل السابع

قام « فتحى » من نومه مبكراً كعادته ووقف بين يدى مولاه خاشعا لله وخاضعا مؤدياً ما عليه من واجبات نحو خالقه وهكذا كان يؤدى صلواته ثم يجلس مرتلا تلك الدعوات الصالحات ومعدداتلك النعم التى لا تحصى ولا تعد شاكرا الله على كريم عطفه وعظيم إحسانه عملا بقوله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد » وبينما هو يتناول مع أسرته طعام الإفطار ويحتسى أقداح الشاى إذ بأحد سعاة وزارة الصحة العمومية يدق الباب . ويقابله « فتحى » فيسلمه مظروفا هاما من مكتب الوزير ويمضى له بالاستلام ويفض المظروف فيجدفيه مكتوبا مايأتى . المحترم الدكتور « فتحى أفندى عادل . بعد التحية . نظرا لما عرف عنكم من الجد والنشاط

وما كان لكم من التقدم بامتياز وما وصل إلى مسامع معالى الوزير عنكم من الهمة القوية والكفاءة النادرة والعبقرية الخالدة لهذا أصدرنا أمرنا بتعيين حضرتكم مدير المستشفى ... وعليكم أن تباشروا عملكم من اليوم فى توفيق الله ورعايته وتقبلوا فائق احترامى . وكيل وزارة الصحة · إمضاء . ، وما أن أتم قراءته حتى أسرع إلى أمه فرحا مسروراً وأخبرها بخطاب التعيين فاغتبطت لذلك ايما اغتباط وأطلقت لنفسها العنان بصوت مرتفع ووزعت الحلوى والشربات على الجيران حتى امتلأ المنزل بجميع أهل الحى مشاركينهم أفراحهم ومقدمين تهانيهم الرقيقة إلى الدكتور « فتحى » على ما أصابه من توفيق وسداد . . . وأن « فتحى أفندى » ليقوم بتنفيذ الأمر الصادر إليه . فيرتدى أفخر ملابسه ويخرج إلى عمله وسط هذا التكبير والتهليل والاعجاب والاستحسان تشيعه النظرات الباسمة بالتحيات وتودعه بجليل الدعوات الطيبات متمنية له كل سعادة وهناء .. وهاهو

ذهب إلى المستشفى راجلا ويلقى نظرة فاحصة إلى المرضى وقد طال انتظارهم وتزاحموا على الدخول فى المستشفى طمعا فى الشفاء وهربا من وطأة الداء وشدة المرض . ثم يدخل بعد أن عاد إليه النظر بالحزن والأسى . ولشد ما آلمه أن يسمع من أحد الخدم وهو يقول للمرضى . اليوم ليس فيه صرف دواء لأن الدكاترة مشغولين باستقبال المدير الجديد .

سمع ما آلمه ورأى ما أحزنه وشاهد ماجعل قلبه يذوب أسى وحسرة . وأن جميع الموظفين والمستخدمين ليقابلونه بالحفاوة والإجلال ويرحبون بمقدمه مهنئين إياه فرحين مغتبطين وهو يشكر لهم رقيق إحساسهم وعظيم استقبالهم . ويفد عليه فى مكتبه المرضون والممرضات والخدمة فيصافحهم واحداً بعد آخر ثم يوجه اليهم نصيحة غالبية قائلا . إن مكتبى مفتوح للجميع وصدرى واسع لسماع كل شكوى وأن واجبى يحتم على أن أنصف كل مظلوم وأعدل فى كل صغيرة وكبيرة وليس عندى من

الفوارق ماترون فكلكم عندى سواسية وما عليكم إلا أن تقوموا بواجبكم الانسانى بكل أمانة وإخلاص وعطف وسلام وسأكافئ كلامنكم على قدر عمله وبمقدار مايؤديه من خدمات أن خيراً فخيراً وأن شراً فشراً وأفهموا قول الله تعالى فى دستوره الحكيم « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . فشكروه على طيب أخلاقه وسعة صدره وكبير حلمه . وأنه ليسير دقة العمل مطلعا على كل صغيرة وكبيرة . وأمر أن يعرض عليه فى الحال كل النظم الموجودة وجميع الطلبات ليدرسها دراسة عميقة حتى ينفذ مافيه الصالح العام . وهكذا ضرب لهم المثل عاليا ليقوم كل منهم بأداء واجبه كاملا غير منقوص وقال لهم . إننا هنا جميعا ملك للدولة وخدام للمصلحة العامة وامناء على سعاد البشرية ومع تقديرى لعظيم حفاوتكم وجميل تقديركم لشخص الضعيف أودمنكم أن تكونوا مخلصين فى عملكم ومتفانين فى أداء واجبكم حتى يسعد الوطن بخدماتكم

وكل أملى أن أجد من معونتكم الصادقة ما يدفعنا إلى أداء رسالتنا السامية وغايتنا النبيلة فى ظل مليكنا المحبوب أعزه الله وأبقاه رمزاً للبلاد .

ثم جاءت الآنسة « فتحية » إلى منزل حبيبها ومعها من الهدايا الثمينة واللعب إلى محبوبها الصغير الطفل « سمير » راجية أن تقضى وقتا سعيداً معهم . وإذا بها تجد المنزل غاصا بمن فيه من المهنئين والكل فرح مستبشر وقابلها « سمير » أهلا أبلة « فتحية » فتقبله مغتبطة . وتعطيه الهدايا الغالية . فيطير بها إلى أمه ويخبرها بقدومها فتخف الأم مسرعة للقائها ومرحبة بحضورها وأخبرتها بما أثلج صدرها وزاد سرورها وأعطتها خطاب التعيين الذى جاء حاملا لها بشير السعد ورسول السلام فترد عليها الآنسة « فتحية » اهنئكم واهنى نفسى بما أصاب فتحى من توفيق وما ناله من نجاح فتدعوا لهما الأم راجية من الله أن يحقق لهما السعادة المنشودة ويبلغهما مرادهما « ثم تستأذن منها لتذهب إلى « فتحى » فى عمله

مهنئة أياه . وهاهى تقود عربتها الخاصة ومعها « سمير » ذاهبان إلى المستشفى . وبينما كانت تهم بالدخول إذ تسمع النسوة يتحدثن وهن خارجات . يا اختى ربنا يخلى المدير الجديد انه ابن حلال ومن عائلة طيبة . والثانية تقول وبنا كريم احنا بننتظر إلى بعد الظهر حتى نصرف الدواء وننتهى فى الكشف وإنهارضه خلصنا بسرعة فان قدومه كان خيرا علينا احنا الغلابه . وترد ثالثة فتقول . ربنا يطول فى عمر المدير الجديد ويخليه يارب فهو شاب صغير ويرزقه ببنت الحلال التى يسعده وتنجب له الذريه الصالحة وغيرهن كثير . وتفرح « فتحية » وهى تسمع هذا المديح وذلك الاطراء وتخفض الطرف حياءا وخجلا وتبتسم لما تسمع مقدرة هذه الشخصية النبيلة التى تفنى فى اداء الواجب بكل امانة واخلاص وتصل إلى حجرة المدير وتسأل عنه فيخبرها الحاجب المختص به بأن المدير يطوف مع احد الموظفين متفقدا سير العمل ونظامه بنفسه حسب رغبته . ودعاها إلى الانتظار فى الاستراحة . وسمع

« سمير » يقول . فين أخويايا أبله فتحية . فعرف الحاجب انهم من اسرة المدير وقال لها سأخبر المدير بحضورك يا آنسة فماذا اقول له .

فأخرجت له بطاقة نقش عليها الدكتورة فتحية . . . فما أن وصلته البطاقة حتى تبسم فرحا مسرورا وأمره أن تنتظر فى الاستراحة حتى يفرغ من واجبه . وهكذا بدأ يغلب جانب الشعور القومى وأداء الواجب عن عاطفة الحب والأخوة والمودة والقرابة إلى أن انتهى من طوافه فأسرع إلى ملاقاة حبيبته وأعز شىء لديه وشكر لها جميل رعايتها وعظيم إخلاصها على تواضعها وتنازلها بالحضور إلى هذا المكان . فأخبرته بأنها ذهبت إليه فى المنزل طمعا فى ملاقاته فوجدت المنزل غاصا بالمهنئين بهذه البشرى السعيدة ولم أطق صبراً على الانتظار ففضلت الحضور إليك مهنئة حتى يستريح ضميرى ويهدأ خاطرى وأطفىء لهيب أشواقى . ثم ذهبا سويا إلى مكتبه واعتذر لها عن التأخير فى إبلاغها هذا

الخبر وقال لها أن مكالمات الجهات العليا الرسمية أخذت منى كل وقتى وكان بودى أن أخبرك تليفونيا ولكن وجدت نفسى أمام واجب لامحيص لى عن أدائه وكاهل مثقل لابد من مجابهته. وأنك تعلمين رأيى وتفهمين طبعى وتعرفين رسالتى فى الحياة وخاصة فى نظام المستشفيات وما أرجوه لها من إصلاح وسير فى العمل يهيء للطبقات الفقيرة والأسر المحرومه كل سبل الراحة وتوفر الدواء وشدة العنايه وجميل الرعاية بهم حتى يشعروا بأنهم أعضاء فى المجتمع الإنسانى العام . ولهذا اصدرت اليهم جميع التعليمات التى تقضى براحة الجميع ووزعت المنشورات حاثالهم على استعمال الحق والإنصاف والعدل والمساواة بين جميع الناس . وليحرص كل منهم على اداء واجبه بأمانة وإخلاص ونزاهة وشرف . وتفقدت الأعمال بنفسى وذوتهم بأرشادى ونصحى حتى يفهمونى بأنى لست من عشاق الرئاسة ولا ممن تنتفخ اوداجهم بالجلوس على المكاتب وإنما انا إنسان عملى اخدم المصلحة العامة واحافظ

على الانسانية المعذبة . ولهذا تأخرت عنك بعض الوقت لأضرب لهم المثل عاليا وخالصا لوجه العدالة والانصاف . وإنا اعتقد ياعزيزتى ان هذا يرضى نفسيتك العالية ويتفق مع طبعك الكريم وخلقك النبيل ويحقق تلك الرسالة السامية التى وقفنا انفسنا على آدائها كاملة غير منقوصة فردت عليه قائلة . اننى مغتبطة جداً بقوة نفسك وحازم ارادتك ياسعادة المدير . فقاطعها قائلا ارجوك ياعزيزتى ان تنادين باسمى مجرداً ولا تجعلى للالقاب سلطانا بيننا لأننى مهما بلغت من ارقى الرتب او وصلت إلى اعلا المناصب فلن اكون بجانب علو مكانتكم او أدنو إلى سمو منزلتكم . لا ياحبيبي ، فتحى ، انا لم آتى عليك بجديد اوالبسك ثوبا غير ثوبك فمثلك يهون امامه كل معصب ولا تعترض طريقه اى عقبة . وان شدة سرورى بما ابديته من إرادة حازمة وما اظهرته من قوة شخصية تسعى إلى الخير دوما هو ما حفزنى على ان اخاطبك بلغة الاعمال التى نحن فى صددها الآن وانك

اتأبى إلا ان تكون سويا فى لغة الأخوة واحاديث المحبة والمودة وهذا من شدة حبك وعظيم اخلاصك ولقد كان اغتباطى بمشروعاتك الاصلاحية اعظم من حبى لتعيينك لاسيما وقد بدت آثارك ظاهرة من بضع ساعات مرت إذ سمعت ثناءا مستطابا لشخصك والكل يتوجهون بالدعوات الطيبة « بأن يرزقك الله ببنت الحلال التى تسعدك .

واطرقت براسها الى الأرض حياء وخجلا . فقام اليها « فتحى افندى » ورفع راسها الى اعلا فتقابلت الابتسامات وتراسلت النظرات وقال لها . ان ابنة الحلال وعنوان المجد والكمال ورسول السعادة والهناء لن يوجدا الافيكى ولن يتحققا الافى شخصك النبيل ياملاكى الطاهر وأملى المشرق فى دنياى يا من كنت نورى الذى ابصر به واهتدى بشعاعه فانتى حياتى ومناى ولن اعيش بدونك يوما من الايام والا فهل يعيش الجسم بدون الروح او تبصر العين بدون النور . شكرا يافتحى

على اخلاصك وعظيم احساسك ونبل اخلاقك فانك تعبر عما يجوك بخاطرى ويدور فى نفسى من حب واشواق .

ثم دقت الساعة مؤذنة بأنها الثانية بعد الظهر . والجميع ينتظرون خروجه . وخرجا سوياً فوجد الدكاتره والموظفين واقفين له صفين . وبهت لانتظارهم وتألم لما شاهده من مظاهر خداعة يعرفها فى دخيلة نفسه بأنها الملق والنفاق مجسما ثم قال . لماذا تنتظرون كل هذا الوقت وقد فرغتم من اداء واجبكم وقمتم به على احسن وجه واسعد حال . !! فردوا عليه بقولهم . لكن واجبنا نحو الرئيس يجب ان نؤديه كاملا ويسرنا ان نكون عند حسن ظنه دائماً . انا أشكر لكم هذا الشعور الطيب واعرفكم جميعا اننا اخوة لارئيس ولا مرؤوس بل نحن جميعا خدام للمصلحة العامة التى نتفانى فى ادائها كما يجب وحماة للانسانية المعذبة وبلسم شاف للادواء الخطيرة واحرصوا على إرضاء الطبقة المحرومة حتى تنالوا رضاء الله وحسن ثوابه . وبكل فخر وسرور اتشرف

بتقديم الآنسة الدكتورة . فتحية هانم . . فرحبوا بها جميعا وشكروها على زيارتها . ثم انصرف الجميع والسنتهم تلهج بالشكر والثناء على المدير الجديد . . وركبا العربة سويا وطلب منها ان تتكرم اليوم فتتناول معهم طعام الغذاء . وما كان لها ان تمانع فى رغبة من تحب وتهوى . وها هى الأم الحنون تستقبلهم بالبشر والسرور وتفتح زراعيها فتضم إليها الانسة « فتحية » وتقبلها فى جبينها شاكرة لها على تنازلها بتناول طعام الغذاء معهم فترد عليها قائلة . انا رهن إشارتك يا امى وطوع بنانك وكلنا ندين لك بالفضل ونحفظ لك الجميل . ثم تدعوهما إلى المائدة وتسأل « فتحى » عن عمله . فيجيبها بخير يا امى والحمد لله على نعمه وعظيم فضله ونرجوا من الله التوفيق والسداد . فقالت لاتنسى يا ابنى ان تكون عونا للفقراء وعاملا لراحة البؤساء والمرضى ولا تركن إلى معاملة الممرضين وقسوة الأطباء لأنهم احق بالعطف والرعاية وهم إخوانهم وربنا يكرمنا من أجلهم .

فتحيب عليها الآنسة « فتحية » مطمئنة لها ياتها قد لمست نتيجة بره وعطفه بالمرضى من اول يوم وستجدين منه كل ما يسرك ان شاء الله . . . وانتهت المـــائدة وجلسوا يتسامرون ثم يخرجان سويا للنزهة . ويقضيان وقتا سعيدا هانئا يتبادلان فيه شجون الاحاديث واعذب القبلات ويبنيان مجد سعادتهما المنتظرة ويعلقان اما لا كبارا راجين من الله تحقيقها ثم ودعته متمنية له فى عمله كل توفيق واصلاح . وقفلت راجعة إلى منزلها ونفسها تطفح بشرا وسروراً لراحة حبيبها وسعادته . وما ان تصل إلى منزلها حتى تسألها امها عن سبب تغيبها هذا الوقت الطويل . فتزجى اليها هـذه البشرى السعيدة بتعيين زميلها « فتحى افندى » وذهبت لتهنئته وكنت معاسرته . فتجيبها امها بشفقة . الحمد لله يابنتى ربنا جبر بخاطره دول ناس غلابه وفى حاجة ملحة إلى القوت الضرورى وينفعهم ابنهم المسكين . ولكن هل يعجبك منزلهم وترضين لنفسك بالأكل معهم والجلوس

بجانبهم وأنت ربيبة العز والمجد . . فقاطعتها بنتها فى حدة وغضب إذ أنها لم تكن تنتظر هذا الحديث من أمها الذى يقطع نياط قلبها. ويمزق فى إحشائها ثم قالت. ماما إفهمى أن «فتحى» أنبل إنسان لدى فى الوجود وأعظم شخصية فى نظرى وليس الفقر عاراً أو مسبة للانسان وليس الغنى والجاه مقياساً لرقى الانسان وإنما الغنى هو غنى النفس والرضا بما قسم الله . والقناعة كنز لا يفنى . وكأننى بك تعتقدين أن هؤلاء خلقوا من طينة غير طينتكم وليسو أهلا للحياة مثلكم. لا لا. فلقد أبطل الإسلام هذه الدكتاتورية الغاشمة وحارب هذه الأنانية المتغطرسة ووحد بين سائر الطبقات وساوى بين جميع الناس مما جعلهم سواسية كأسنان المشط . ولا فضل لأحد على آخر إلا بتقوى الله ورضوانه. واعرفى عنى يا أمى أننى أحب . فتحى . حبا ملك على كل جوارحى وسيطر على كل مشاعرى حتى وصل إلى درجة التقديس والتبجيل ولن أرضى فى الوجود بأنسان سواه . . . وكادت تصعق أمها لهذا

التصريح وذلك الغالى والمديح . إذ كانت الأم تحسب أن بنتها لن تحب شابا لا يمت إلى وسطها الراقى أو يتناسب مع مكانتها العالية.! ووجهت إليها الحديث قائلة . أننا نود لك حياة سعيدة منعمة تتماشى مع حياة العز والرفاهية حتى تسعدين فى حياتك الزوجية وتعيشين فى بحبوحة من الترف والنعيم . . . كفى يا أمى وارحمى شبابى وأريحى ضميرى من فلسفة الطبقات فإن ذلك يؤلمنى ويحز فى نفسى فإن كنت تنشدين لى السعادة التامة فأنا أعرف الناس بما يسعدنى وما يدخل السرور على نفسى ولن يكون ذلك إلا بجانب «فتحى» وذلك هو منتهى رأيى ولن أرجع عنه مهما كانت الظروف والأحوال . . . طيب يا بنتى أنت ورأيك والأمر لك وأبيك وقومى لتريحى جسمك وربنا يسعدك ويهديكى الى الصواب . وإن غداً لناظره قريب .

الفصل الثامن

مرت الأيام سراعاً ومضت السنين تباعا و «فتحى أفندى» قائم بأداء واجبه بكل كفاءة وجدارة وعظيم أمانة وإخلاص جعلته فى مصاف الأبطال وفى أعلى درجات العلم والعلماء الذين وهبوا أنفسهم لخدمة الإنسانية المعذبه والتفانى فى أداء الواجب المقدس مهما كانت التضحيات جسيمة والتكاليف شاقة والثمن غاليا ولا أدل على صدق ذلك من تقديم نفسه قربانا لجلال العلم وحبا فى البحث والتنقيب وحتى راحته وهنائه أهداها لمصلحة المجموع وخدمة فى إسعاد الناس مما جعل منزله قبلة للفقراء والبؤساء ومهبطا للمرضى والمنكوبين . ولو نظرت إليه لرأيت تواضعا جما وخلقا كريما وقلبا رحيما ونفساً طيبة لم يتطرق إليها الغرور أو يتسرب إليها حب الظهور والكبرياء . ترك الرياسة

فى مكتبه وهجرها إلى حيث العمل المضنى والجهاد الشاق . وإنك لتراه أشعث أغبر يتنقل فى جميع أركان المستشفى غاديا رائحاً مشرفاً على كل صغيرة وكبيرة وباحثا منقباً يقف على كل العمليات الجراحية ثم يكتب عن ذلك كله تقريراً ضافيا مدونا ما يصل إليه من نتائج أبحاثه حتى كان ذلك كتابا ضخما وسفرا جليلا يطالع به المكتبة العربية الطبية وإذا به يحدث دويا وانفجاراً فى الأوساط الطبية فمن مادح لهذا المجهود الجبار وما فيه من جليل النفع وعظيم الفوائد ومن قادح له أو منتقد ما جاء فيه من نظريات وهكذا صار حديث الأطباء والمرجع بين رجال الصحة ومنبرا للصحفيين والأدباء . .

لقد كانت طبيعة هذا المدير « فتحى . . » تكره الوساطات وتمقت المحسوبيات أو التمييز بين سائر الناس فلا تقديم لغنى على فقير لكثرة ماله ولا محاباة لعظيم عنده لجاهه وعلو مكانته . بل كان لا يأبه بالتوصيات ولا غيرها مما لا يفرق بين الناس بل كان

يقول لحاملها : لقد كلفت نفسك فوق طاقتك بل وأرقت ماء وجهك فى سبيل الحصول على هذه التوصية طمعا منك أن تفوز بنصيب الأسد وتنال أكثر من غيرك . ولو تركنا عقولنا وراءنا ظهريا ولم نرض بحكم الضمير الحى فيما نعمل . وأعطيناك من العناية وأمثالك فوق ما أنتم له أهل لترتب على ذلك أن يظل عدد ٩٠ ٪ ١٠٠ من الأمة مرضى يشكون آلام الداء ويلوون الطوى من الأسى والحرمان حيث لا يتوفر الوقت لعلاجهم أو النظر إليهم وتلك هى الطامة الكبرى والمصيبة العظمى التى أصابت المجتمع المصرى فى السويداء وأحدثت فى كبده جرحا لن يندمل مدى الحياة مما كان سببا فى تأخرنا وعاملا هداما فى مدنيتنا ومقوضاً لأركان مجتمعنا الذى يسعى الجميع إلى إسعاده ورقيه وتقدمه ورفاهيته .

وهكذا كان المدير يلقى درسا قاسيا ويوجه تأنيباً مراً لأصحاب الشفاعات وأرباب الوساطات وذوى المحسوبيات . ثم يتلطف

معهم فى الخطاب ويطمئنهم على مستقبلهم قائلا : ولكن ليطمئن خاطرك ويستريح ضميرك بأننا هنا نعدل بين الجميع ونعطى كل داءٍ دواؤه وما يستحقه من عناية واهتمام توصله إلى الشفاء وتضمن له جميع سبل الراحه والهناء . .

ولقد حدث ذات يوم أنه تأخر عن موعده ولم يذهب إلى عمله إلا فى الساعة الحادية عشر صباحا بسبب أرق أصابه ليلا ولتعب فى جسمه . وبينما كان يهم بدخول المستشفى أبصر جموعا زاخرة وسمع لغطا متزايداً وسخطا وتبرما من طول مكثهم وعدم العناية بهم وما أن رآوه حتى التفوا حوله شاكين باكين من إهمالهم هذا الوقت الطويل . فأخذ يقلب النظر فيهم ويسمع شكواهم واقفا وتأثر بما شاهد من كتل بشرية متفرقة قد أحالها المرض الى أثمال بالية وقطع ممزقة طالبة من الله شآبيب الرحمة ومتوسلة إليه بالدعاء أن يخلصها من هذا البلاء وآلام الداء .

وتوجه المدير فوراً إلى مكتبه وقلبه يكاد يتميز من الغيظ

ويغلى من شدة الغضب واستدعى أحد الموظفين مستفسراً عن سير العمل فأجابه بأن حضرات الدكاتره يقومون بأداء عملية جراحية خطيرة لأحد كبار الموظفين وأطلعه على الأوراق جميعها ومن بينها الأوراق الخاصة بالكشف والعملية والأشارة الخارجية الواردة بهذا الأمر . وبعد أن درس هذه الأوراق وعرف نتيجة هذه العملية قال للموظف إن هذه العملية بالذات لا تستدعى هذا القومسيون العام بهم جميعا بل تتطلب اثنين من حضراتهم فقط فلماذا يقومون جميعاً بها وتتعطل جميع الأعمال من أجل إنسان! وهل من العدالة أن يسعد فردويشقى بسببه أفراد؟ أويحظى بالراحة إنسان فيهمل بجواره ويترك لأجله أمة من الناس ؟ . واشتد غضبه وعلا صوته وأمر باستدعائهم جميعاً على وجه السرعة . ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم ملياً ونفسه تغلى من الغضب ثم انفجر وكأنه بركان يغلى وقال : أمن الوطنية الصادقة ياساده أن تتركوا هذه القطعان من الناس هملا

ولا مجيب ولا معين . ؟ وهل من الإنسانية يا أرباب الشفقة والحنان أن تخصوا برحمتكم رجلا له سطوة وجاه وتغضوا الطرف عن هؤلاء الفقراء من الناس . ؟ لقد أتى هؤلاء الناس إليكم طالبين معونتكم ومادين أيديهم متضرعين إليكم أن تخففوا من بلواهم راجين من الله أن يحقق الشفاء على أيديكم الطاهرة فهل قمتم بواجبهم وحققتم لهم أمنيتهم . ؟ اللهم لا . . . ولكن وجدتهم يشكون إلى خالق الكون وجبار السماوات والأرض وهو المنتقم الجبار لكل مظلوم مختار . وهل غاب عن عقولكم أن دعوة المظلوم مستجابة وليس بينها وبين الله حجاب . ؟ وكل رجائى من حضراتكم أن توحدوا نظراتكم وتعدلوا بين سائر الناس وأن تراقبوا الله فى جميع أعمالكم وتحققوا النبل والحنان الذى جبلتم عليه . وأملى فى رجولتكم ألا يكون المظاهر أى سلطان عليها حتى يسعد الناس بخدماتكم وينالون ما يرجونه من شفاء على أيديكم الطاهرة وأنفاسكم الطيبة وأفهموا عنى أنه

يتساوى عندى رئيسنا وزير الصحة مع أقل مواطن فى سبيل الحصول على حقوقة المشروعة ، ومتى حققتم ذلك نلتم رضاء ربكم وعظيم ثوابه واستحقيتم شكر رؤسائكم . والآن هلموا لأداء واجبكم العام فى رعاية الله وتوفيقه واتركوا لى الإشراف على هذه العملية وما تحتاج إليه . . وانصرفوا إلى أداء واجبهم بهمة ونشاط وعزيمة وإخلاص ذاكرين لرئيسهم هـذه الروح الأبية والنفس العالية والخلق النبيل . ومقدرين فى شخصه القدوة الصالحة التى تؤدى الواجب حبا فى إرضاء الله وخدمة للانسانية فى غير ما تظاهر أو رياء . نعم خرجوا من عنده وكأن على رؤسهم الطير مما سمعوه من إشارات ومواعظ وحكم وهداية إلى الصراط المستقيم والعدل الحكيم . وحسبوا أنفسهم أنهم خارجين من إحدى المساجد العامرة حيث الوعظ وجلال العلم وهيبة الدين وسماء الفضيلة ونقاء السريرة والتعلق بحب الله مما جعل قلوبهم تتصل بالله فتعمل جادة على ما يقربها إليه ويدنيها من ثوابه ونعيمه

وهكذا سارت الحالة من حسن إلى أحسن تحت ضوء هذه السياسة الحكيمة والأرشادات العادلة عملا بهذه النصائح الغالية مما جعل لهذه المستشفى ذكرى طيبة فى جميع الأوساط وشهرة واسعة لدى جميع الناس . .

ولقد ظهر وباء فتاك وداء خطير فى إحدى القرى المصرية يخشى منه أن يهدد البلاد بأجمعها ولهذا اهتمت به وزارة الصحة وجندت له قوة من الأطباء وحملة كبيرة زودتها بجميع المعدات وجعلت على رأس هذه الحملة حضرة مدير المستشفى . الدكتور « فتحى أفندى عادل » نظرا لما تعرفه عنه من الأمانة والإخلاص والتفانى فى خدمة المصلحة العامه . وتركت له حق الإشراف العام ووكلت له الحرية التامة فى تنفيذ ما يراه صالحا وعمل ما يجده نافعا . ولما وصل إلى هذه القرى استدعى رجال بوليس المنطقة ورؤسائها وعقد معهم اجتماعا كبيرآ حضره جميع الأطباء ودرسوا فيه الحالة مفصلة وأعدوا خريطة بالأماكن الموبوءة

وأمر بشدة حصار هذه المنطقة واستعمال كل القوة مع من تسول له نفسه بمخالفة الأوامر الصحية ثم وزع حضرات الأطباء على هذه المناطق مذودين برجال الإدارة ورؤساء القرى وكان هو يشرف على هذه الأعمال جميعها بكل همة ونشاط ويسهل لهم كل ما يحتاجون إليه . وكان دائم الاتصال بالجهات العليا يبلغهم الحالة مفصلة ويكتب يوميا تقريرا اضافيا عن حالة المرض وسير العمل .. ولقد كان الرئيس « فتحى أفندى عادل » يضرب لهم المثل عاليا فى التضحية والثقافى فى أداء الواجب فيدخل فى الأكواخ القذرة باحثا منقبا ويمشى المسافات البعيدة راجلا . طالبا من الأهالى مراعاة الأوامر الصحية والمحافظة على الأرشادات الطبية وكثيرا ما يطلب منه رؤساء الادارة ورجال الأمن أن يرأف بنفسه ويرحمهم من بؤس هذه المناظر المؤذيه ورؤية هذه الحالات المؤلمة التى لم يألفوها من قبل أو يسمحو لنفوسهم برؤيتها . وأنهم لها كارهون . فيرد عليهم قائلا ومن

يرحم هؤلاء المنكوبين ويخفف من بلوى البؤساء الذين أقعدهم الداء وحرمهم المرض من التمتع بنعيم الحياة. وهناء الصحة والعافية أما نحن فما علينا إلا أن نقوم بواجبنا كاملا غير منقوص ونؤديه على حسب ما تفرضه علينا ضمائرنا السليمه وما تقتضيه منا مصلحة الوطن لأننا جميعا مسئولون امام الله عن هؤلاء «كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته» وسيرأف بحالنا أرحم الراحمين وأكرم الخلق أجمعين وهو لا يضيع أجر من أحسن عملا .. ولقد سروا جميعا بهذه الحكم العاليه. وأجابه مأذون القرية بقوله. سر بنا ياسعادة الرئيس على ضوء هذه التعاليم ونحن من ورائك خدم مطيعون والارواح باذلون حتى يكتب الله لكم النجاح ويوفقكم للقضاء على هذا الوباء بفضل إخلاصكم ونبيل طباعكم انه على مايشاء قدير .

وعند ماجن الليل وعمد إلى الراحة طفق يفكر فى نفسه

تتذكر أنه جاء إلى هذا البلد وقام بهذا العمل ولم يخبر به أعز الناس إليه واحبهم إلى قلبه وأدناهم من فؤاده زميلته الدكتورة « فتحيه م . ج باشا » وفى الحال كتب لها رسالة مطولة مبينا لها الحالة مفصلة من شدة وطأة المرض واستفحال الداء وما يجده وزملاؤه من عناء ونصب وإجهاد مرفى سبيل القضاء عليه ثم ذكر فى ختامها قائلا . انى يا عزيزتى قد وهبت روحى ووضعت خبرتى وتجاربى لأسعاد بنى وطنى . وها نحن قد أعلناها حربا لاهوادة فيها على هذا العدو الجاسم فوق الصدور ولن نترك الميدان له متوانين أو منهزمين بل سنكافح ونناضل حتى نقضى عليه البتة ونرفع علم « الصحة » مرفرفا على الأجسام ونعيد النشاط والسعادة إلى الأبدان ؛ ون الله وتوفيقه . وفى الختام اتمنى ان اراك ليكون لى من روحك الطاهرة لى زادا وانال من نورك قوة وهناء ولك منى كل تجلة واحترام « فتحى عادل » .

فما أن وصلتها هـــذه الوسالة حتى اغتبطت

لها وملأ الفرح جوانبها وعقدت العزم على التطوع معه فى القيام بأداء هـذا الواجب المقدس . أوجابته ردا على رسالته بأنه مما يشرفها أن تكون بجانبه مشاركة له فى هذا العمل الانسانى النبيل وإلى اللقاء فى ساحة الجهاد حيث الشرف والاستشهاد وتقبل عظيم اشواقى « فتحية » . فما هذه الروح النبيلة وتلكم النفس العاليه التى تأبى أن تركن إلى الراحة والنعيم المقيم وتود ان تغادر القصور وما فيها من رفاهية أبدى وعزسر مدى إلى حيث الكهوف القذرة والاكواخ الحقيرة وما فيها من شظف العيش وخشونة المكان وطول العناء . ولكن تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن وتسير دفة الحياة ويجرى الزمن على غير ما يتمنى الانسان ويرجوه لنفسه وإذ عرضت هـذه الرغبة السامية على ابيها فسألها عن السبب الذى حدا بها إلى أن تركب هذا المركب الخطر وتحمل نفسها فوق طاقتها ؟! فأجابته بأنها مساهمة منها فى هذا الواجب الوطنى الذى يفرضه عليها تعليمها

وفى ذلك أداء لرسالتها الانسانية التى هى فى عنقها ولأن رئيس هذه الجملة الطبية هو « فتحى » فيمانع سعادة الأب الكريم والوطنى الغيور فى ذهابها بحجة ان هذا العمل الشاق لايتناسب مع مكانتنا ولأن شدة الوباء وخطورته لن تتحمله نفسها الرقيقة فقالت إنها تقبل لنفسها ذلك وهى أعلم الناس برسالتها وأقدرهم على محاربة الداء مهما بلغت خطورته أو اشتدت درجته . ولكن أصر الوالد على رأيه وتمسك بقوله ومانع فى ذلك بشدة وغرضه الحقيقى من وراء ذلك أن يحول بينها وبين الاتصال بهذا الانسان الذى لاترضى له نفسه الكبيره أو تسمع أسرته العالية بمخالطة أمثاله فكيف يقبل لابنته بمصاحبة هذا الشخص . بعيدا عن حبها له وتعلقها به وعطفها عليه بل كان بقابل بامتعاض زمالتهم فى الدراسة ويعد ذلك نقصا يهدد كيان الأسرة وخدشا فى كرامتها ثم قال لها بأنه سيفاجئها ببشرى سعيده ستطرب لها نفسها ويفرح لها قلبها . اتحقق لها السعادة الأبدية . وتكتب لها النعم

والهناء فى حياتها المنظرة بدلا من تحمل ذلك الشقاء وملاقاة النصب والعناء !!. لكنها وقد فهمت مغزى حديث أبيها وما يرمى إليه فقابلت ذلك منه بالوجوم والامتعاض وقلبها يكاد أن يتمزق بما فيه من آلام . وإذا بها تتركه يشرح السعادة الموهومة فتذهب إلى حجرتها فتفلقها عليها وتترك جسمها للراحة ولكن أنى له أن يجد الراحة أو يسعد بالهدوء والأفكار موزعة والدموع تسيل منهمرة والعقل مبعثر مشتت والنفس تكاد أن تحترق من شدة الغليان لما فيها من آلام وشدة أحزان .

وذهب الوالد وشكا إلى أمها بما حصل من « فتحية » متألما لهذا الشذوذ . فتأثرت الأم لهذه الحالة وقالت . لا أدرى كيف أعلل دوام هذا الاتصال وكيف لا ينتهى بانتهاء الدراسة بينهما وكم تمنيت أن تنقطع هذه الصلة وعملت جادة فى ذلك ولكن لم انجح فى مسعاى هذا . ولعل الأيام القادمة التى لا ترى فيها هذا الانسان الذى أصبح قذى فى عينى وشبحا مخيفا أمام ناظرى

بجعلها تنساه وتتركه . وبذلك نخرجها من هذا الشذوذ ونضمن لها مستقبلا يتفق مع علو مكانتها وسمو قدرها . ثم يعتدل الأب فى جلسته فتنتفخ أوداجه وينظر بعين الغضب قائلا . مامعنى هذا الكلام ، فتحية ، بنتى تحب إنسانا من طبقة فقيرة كانت بالأمس تعطف عليه وتنفذه من شبح المجاعة وأنياب الفقر؟! لا لا هذا شذوذ لامعنى له وخروج عن الأوضاع السليمة المجتمع . ومهما كان هذا الطفل المسكين فهو لن يكون بجانب خادم عندنا . ومنذ الساعة لن يدخل هذا المجرم الآثم خان النعمة منزلى بعد اليوم . وسأعرف كيف أوقف أمثال هذه النزوات الصبيانية واتكفل بتأديب هـــذا المغرور الذى يتطاول على مكانة أسياده!! . فقاطعته الأم مطمئنة لخاطره ـ ولم تصرح له بما سمعته من ابنتها ـ بأن هذا طيش الشباب وعما قريب يزول والمسألة أهون من أن تثير غضبك وانتهى النقاش عند هذا الحد . وفتحية . تغالب النوم ولكن يصيبها أرق فتظل طول الليل

ساهرة مفكرة متألمة حزينة ، وهكذا تظل أياما طريحة للفراش وأسيرة للمرض والأوهام . وهناك الدكتور « فتحى » بدوره. كل يوم فى انتظار حضورها حسب ما اخبرته فى رسالتها وكان ينتحل لها الأعذار فى تأخيرها ويجد فى أداء واجبه الوطنى على خير ما يرام حتى كتب الله لهذه الحملة التوفيق وأصابها النجاح وتمكنت من القضاء على هذا المرض فى ظرف أربعين يوما كانت كلها جهاد وعناء . ثم أرتحلت هذه الحملة إلى القاهره تاركة هذه القرى وقد انقشع عنها الظلام وانسحب منها المرض وتقهقر بانتظام إلى حيث لا رجعة له البتة . وهاهم أولاء يسمعون الثناء المستطاب والشكر الجزيل من رئيسهم الأعلى ويسعدون بالراحة وينعمون بالهناء بعد هذا الجهاد الطويل والعناء الكبير جزاء ماقدموه لوطنهم من جليل الخدمات وعظيم المنن والآيات وطيب الأعمال . وشريف الفعال .

الفصل التاسع

جلس سعادة الباشا مع حرمه المصون فى الشرفة المطلة على الحديقة ليستقبلان الهواء المطلق وينعمان بلذة الحياة ومكثا يتحادثان فى نظام الحفلة وفى البشرة السعيدة التى سيفاجئان بها ابنتهما « فتحية » وقلبهما يطمح بشراً وسروراً وهناءً وحبوراً . وقال الباشا فى معرض حديثه . لقد اجتمعت بالأمس مع سعادة زميلى محسن ع . باشا وكان حديثنا عائلياً بحتاً وطلب منى توثيق الروابط واتحاد الأسرتين برباط الزواج المقدس. وذلك بزواج نجله الكريم . . شكرى بك . م : على كريمتنا : فتحية : وما كان لى أن أمانع فى هذه الرغبة الكريمة أو أقف دون انتهاز هذه الفرصة النبيلة بل رحبت بهم الترحيب الكامل واتفقنا على أن تقدم : الشبكة : فى حفلة اليوم . وأنا أعتقد أننى بعملى هذا قد

أديت لابنتى خدمة عظيمة لن تنساها مدى الحياة وستذكرها بكل ثناء وإجلال . لأن هذا الشاب النبيل من أسرة لها صيت زائع وشهرة واسعة ومجد عالى فهو الذى يدير حركة جميع الشركات الخاصة بهم وما يمتلكونه من عقارات بكل همة ونشاط جعلته محط الأنظار فى الأوساط الراقية . والجميع يحسدونه على سمو مكانته وعلو قدره . لهذا أراه كفئا لابنتنا ويتناسب مع مكانتنا فترد عليه زوجته قائلة . إن « شكرى بك » شاب حلو وجميل يعيش فى حلل من السعادة والرفاهية وهو جدير بأن يهيء لابنتنا السعادة الأبدية ويحقق لها كل أمالها وما تصبوا إليه من حياة كلها نعيم وهناء . وربنا يهديها إلى الصواب ويبعد عنها الأفكار السوداء التى جعلتها تصاب بعقد نفسية شاذة فتحب شابا من أسرة بائسة حزينة فتغمره بعطفها وكثير إحسانها وأخشى أن ينقلب ذلك العطف وذاك الاحسان إلى حب لهذا الشاب المسكين والتعلق بذلك الانسان الذى تربى بين أحضان الفقر وعاش

فى كنف البؤس والحرمان . ولم يحلم بالسعادة يوما من الأيام. فينغص عليها نعيم حياتها وينقلها من عذها ورغدها وسعيد جنانها إلى جحيم الظلام والحرمان. وما فى حياة الفقراء من ضنك العيش وذل الحاجة والآلام. والعيش بمقدار. وهذا ما لا نرضاه لها بحال من الأحوال . فهى وحيدتنا فى الحياة. وأملنا فى الدنيا. وغايتنا من الوجود أن نحقق لها كل سبل الراحة والكمال . . لا لا يا حبيبتى إن بنتى « فتحية » هى أغلى شىء فى الوجود وأعز أمانينا من دنيانا ومن حقها علينا أن نسعى لراحتها وما يكتب لها السعادة التى تنشدها ولا أسمح بذكر ذلك الانسان فى منزلى مدى الحياة . ومن حق عليها وواجب الابوة يحتم عليها أن تطيع أوامرى وتنفذ رغباتى التى هى فى صالح مستقبلها . ولقد أعطيت هذه الأسرة الكريمة وعداً محققا ورحبت بقبولهم وسيحضرون الليلة . وهى عندما ترى زوجها المنتظر وتعرف شعوره الرقيق وإحساسه المرهف سيتضح لها صدق ما نرمى إليه وما نتمناه

لها من حياة حافلة بجلائل الأعمال، وهلمى لتشرفى على نظام الحفل ولتدخلى السرور على نفسها وتبينى لها سعادتها المرجوة المنتظره دخلت الأم على ابنتها فى حجرتها وكل آمالها أن تنجح فى مسعاها فوجدتها تقطع الوقت فى كتابة المذكرات فطلبت منها أن تريح نفسها ولاترهق أعصابها. وأخبرتها وهى وجلة فى نفسها بأن تقوم لتصلح فى هندامها ولتشرف على نظام الحفلة الساهرة الكبرى وسيشرفنا اليوم أسرة : محسن . ع . باشا : ومعهم نجلهم الكبير شكرى بك وسيطلب يدك ويقدم لك الشبكة اليوم . فانتبهت « فتحية » مذعورة وتركت المذكرات ونظرت إلى أمها بعين الغضب وقالت اسمعى يا أمى دعك من هذا الهراء الممقوت ومن سعادتكم الموهومة واعلمى بأننى حرة فى اختيار شريك حياتى ومن يقاسمنى فى نفسى من نفسى ومسراتى وأنا لست بالطفلة الغريرة أو الانسانة البلهاء فتسيرونها كيف ما تشاؤن وحسب ما ترغبون فأريحى نفسك من كل هذه المظاهر الكاذبة والألوان الخادعة

وافهمى عنى الحقيقة المرة التى لامفر منها ولا مناص من تحقيقها وهى أننى لن أقبل إنساناً فى الوجود كائنا من كان مركزه. سوى هذا الشاب المسكين . المحروم الغلبان الذى ليس من دنيانا كم على حد تعبيركم. وفى منطق عرفكم . وهو « فتحى » ومحالا تطلبين منى غير ذلك . . لكن يا بنتى نحن نحب لك الحياة الناعمة المريحة والسعادة التامة فى ظل هذه الأسرة العالية . . لا أنا أعرف الناس براحتى وأقدرهم على خلق سعادتى وبناء مجدى بيدى حتى أجنى ثمرة جهودى بلذة وشهية. وسأخرج الساعة انتروبض نفسى وتجديد نشاطى . ! . إذهبى يا بنتى لترفهى عن نفسك المنقبضة لعل فى ذلك ما يدعوك إلى التفكير فى مستقبلك. حتى تهتدى إلى الصواب . وتعرفى صدق ما نرجوه لك من طيب الأمال . ونعيم الحياة . ولا تنسى حضور الحفلة مبكرة . . . لكنها لم تعر هذا التصريح أى التفات وخرجت تقود سيارتها بنفسها إلى حيث منزل « فتحى افندى » فوجدته يستجم للراحة من جراء ما ناله

من تعب شديد فى حملة الوباء . وما أداه للانسانية والوطنيةمن جليل الخدمات . حتى استطاع وزملاءه القضاء على هذا الداء الذى كان يهدد الأمة بأجمعها فى وقت وجيز مما جعل وزير الصحة يغدق عليهم المكافئات وينعم عليهم بنيشان الكفاءة والجدارة. فما أن رآها حتى استقبلها بالبشر والترحاب. والسرور والانشراح. ومكثا وقتاً طويلا يتحادثان بما كان لهما من ذكريات جميلة فى هذا الوقت الطويل. وأخبرتهما الأم بأنها تود أن تفرح بهما وترى السعادة ترفرف عليهما فى منزلها . وتأثرت : فتحية : فى نفسها وتذكرت حفلة الليلة وما يخبئه لها القدر فى طياته. وما يسجله لها من ضربات وسهام . ثم خرجا سويا للنزهة والترفية حتى وصلا إلى المكان الذى تعودا قضاء السهرة فيه .

ثم سألها قائلا : إنى أراك اليوم غير الأمس فجسمك قد هزل وصحتك ليست على ما يرام وأننى لأقرأ على جبينك آيات الحزن والتفكير فهل من جديد يا عزيزتى ؟ هيا افصحى فأنا

متعطش ولهان لسماع حديثك العذب. ونغماتك الشجية الحلوة ولبسماتك الوضاءة وجبينك المشرق .؟ فأين بهاؤك ونضارتك؟ وأين أنوار شمسك الساطعة ؟. فهل حجبتها عنى الغيوم فلم أكد أراها ؟ وهل جد فى الأمر جديد ! ! وأنك تعلمين أننى وهبت نفسى فداء لك والتضحية فى سبيل سعادتك . وكل ذلك لن يفى بمالك فى عنقى من أيادى بيضاء ومنن جمام . سأحفظها لك مدى الحياة ... أنا شاكرة لك يا : فتحى : هـذا الخلق النبيل ومقدرة منك هذه البطولة الخالدة . والتفانى فى أداء الواجب وسأطلعك ياحبيبى على مابيته لنا القدر فى سجلاته. وأظهر لك ماخطه فى صفحاته ! ! أى وربى . لقد تحققت لى نبوءتك. وظهر جليا ما كنت تذكره من ظلم هذه الطبقة الارستقراطية ومايدور فى خلدها من غطرسة وكبرياء وأنفة عمياء وما تؤمن به هذه الفئة الغاشمة من حب للمظاهر وإيمان بالتقاليد وبغضهم الشديد ومقتهم المذرى ونفورهم من إخوانهم الفقراء والمحرومين بل أن غرورهم

بالدنيا .جعلهم يعتقدون أنهم خلق الله المصطفى .وأن ليس فى الوجود غيرهم. وما عداهم فهو خادم لهم.ولايحق لهم أن يعيشوا مثلهم.وإنهم ليتمسكون بتكافؤ الطبقات فى الماديات. ومن يوم أن توجهت فى حملتك للريف والمنزل يغص بالزائرين من علية القوم وكبراء الدولة على حد تعبيرهم . وأسرة تجتمع وأخرى تنفض وصور جميلة المنظر سيئة المخبر تعرض على ناظرى.طمعا فى أن تنال رضاى . وتود الاقتران بى . ولكن فاتهم أن المكان مشغول بغيرهم.وفى غنى عنهم . ولم يعد فى حاجة إلى إنسان ما .فى الوجود . وما كان جوابى عليهم جميعا إلا الرفض بدون إبداء الأسباب . ولما ضاقة الأسرة زرعا بهذا الرفض المتتابع.ووجدت منى ذلك الطبع الجاف . والنفس المنقبضة الضيقة . فاتحتنى أمى فأبنت لها ما يختلج فى ضميرى. وما أنا مؤمنة به فى مستقبل حياتى: لم يسعها إلا أن تظهر شفقتها وتبدى عطفها على ما أنا فيه من تفكير سقيم ومستقبل مظلم ويأبى الأب الكريم إلا أن يكون

عبداً لهذه التقاليد الجوفاء والعادات الخرقاء بعدأن كنت أتمتع بكل حبه وعظيم عطفه ورضاه وفى هذه الليلة بالزات سيحضر عندنا . م . . . باشا أملا منهم أن يظفروا بمايطلبون. والأسرة قد رحبت بهم وفى المنزل حفلة ساهرة ما جنة لا ستقبالهم . والحق أنهم يكلفون أنفسهم شططا أملا فى راحتى وطمعا فى سعادتى. ممن يتكافؤن معهم وسيعرفون أننى لن أتنازل لهم عن رأيي أو أتحول عن إيمانى مهما كانت الظروف والملابسات ولو قدمت روحى قربانا وفداء لخرق هذه النظم البالية والتقاليد الهدامة . وأننى يا عزيزى لن أحنث فى عهدى لك وفى تعلقى بشخصك أو أتوانى فى حبك الذى تغلغل فى سويداء قلبى وسرى مسرى الشرايين فى جسمى ولن أكون لانسان .ما فى الوجود سواك . واليصبوا جام غضبهم ومنتهى سخطهم وظلمهم فلن يزيدنا ذلك كله إلا تمسكا برأينا وإيمانا بعقيدتنا حتى ننتصر على هذه الدكتاتورية الغاشمة أو نموت فنلقى الله على طهارة وبراءة شاكين

له ظلم هذه الفئة الباغية التى تفرق بين عباده ولا تخضع لشرائعه وأوامره. وفى هذا شرف لنا فى أن نقدم أرواحنا قربانا للتضحية فى سبيل العدل المطلق. والمساوات التامة . . . ولم تتمكن من مواصلة حديثها حتى شعرت بدوران فى رأسها. وألم فى جسمها وأمالته نحو صدره وهو مطرق الرأس حزين النفس. وأخذ يطمئنها بعض الشىء ويحاول إدخال السرور على نفسها وفى قلبه نار مشتعلة وسهام تقطع نياط فؤاده وأحس بأن هذا النور الذى كان يضىء دنيا جيرجيا بدأ يخبو رويدا رويدا. وإن الحياة ستظلم فى وجهه من جديد كما كان حالها معه فى جميع ادوار حياته. ولكن رحمة بهذا الملاك الطاهر وشفقة بهذه النفس الأبية التى ابت إلا ان تشاركه سروره وتشاطره فى احزانه. وتقاسمه فى بؤس حياته. من اجل هذا كظم غيظه وأخفى دفين حزنه وبدأ يحدثها بأن الأيام كفيلة بتحقيق المراد وتهيئة السعادة لنا والله ارحم على عبده من أن يخيب رجاءه أو يقف دون مقصد عبده

وسنصبر حتى يعلم الصبر أننا صبرنا على شيء أحر من الجمر

فهوني عليك يا عزيزتي وارحمي شبابك الغض من ان تقتله الأفكار وتنهك من روحك الآلام ودعي المقادير لله يسيرها كما يشاء . ثم أفاقت من سكرتها وفتحت عينيها ورأته ناظراً إليها وقالت أأنت بجانبي يا حبيبي وسنكون هكذا ولن يفرق بيننا إنسان في الوجود أو قوة في الحياة وحتى الموت فسنجتمع بعده في الحياة الأبدية . . فما كان من : فتحي : إلا ان أطرق برأسه إلى الأرض وفي نفسه من الآلام قديما وحديثا ما لا يتحمله انسان في الحياة . ثم افترقا على ان يتلاقيا عند كل فرصة سانحة وكلاهما يكتب للآخر بما يجد عنده من الأمور . . وذهبت فتحية : إلى منزلها والجميع في انتظارها وفي أحر شوق لطلعتها البهية لكنها نظرت فإذا بالجميع فرحين مستبشرين يتناولون الكئوس مترعة ويتضاحكون بصوت مرتفع . ويرقصون على نغمات الموسيقى والجو معطر بالورود والرياحين . وهي حزينة النفس

كسيرة الفؤاد . فى قلبها نار مضطرمة. وثورة جامحة . واقبلت عليها أمها تستقبلها بلباس السهرة فرحة مسرورة . ولكن أنى لها ان تتحمل هذا التناقض.! فوقعت إلى الأرض مغمى عليها من فرط الحزن والآلام!. وانتبه الجميع وأسرعوا نحوها وحملوها إلى حجرتها وهى غائبة عن الوجود . وفى سرعة البرق حضر دكتور الأسرة واعطاها بعضا من العقاقير وامر بأن تترك فى الراحة أسبوعين وان يبعد عنها كل ما يسبب لها الأفكار أو يوجد لها الأحزان ، وهكذا كان ختام هذه الحفلة الساهرة الفاجرة .

أما فتحى أفندى : فما إن وصل إلى منزله حتى استلقى على الفراش متأثراً بهذه الصدمة التى هزت أركانه وقطعت نياط قلبه. وقلبت تلك الآمال الكبار رأسا على عقب. وما كان يرجوه من حياة سعيدة وهناء بعد هذا الشقاء وطول العناء . وهكذا مكث على حالته أسبوعا كله يأس وحزن . وتفكير فى مستقبل مظلم لا يدرى له كنها ولا يعرف له مدى . ثم جاءه أمر من الوزارة بنقله إلى

مكان بعيدعن المدينة فيه كل الظلم والأجحاف بمكانته ولا يتناسب مع مركزه بل هو تأديب له ومنفى . وأخبره أحد زملائه بأن بداً كبيرة لعبت دورا خطيراً فى هذا العمل وسببت له هذا الظلم وذلك الأجحاف . وإنها لصدمة قوية اجتمعت مع إخوانها فلم يستطع مقاومة هذه المصائب مجتمعة . ولا كيف يجابه تلك النكبات التى أتت إليه تترى بدون رحمة ولا هوادة .

وما كان لهذا الجسم النحيل الذى لا يعرف إلا الواجب أن يسمع له صوت أو يجاب له نداء عند أرباب الظلم وأصحاب الملق والنفاق!! . لك الله يافتحى . لقد أفنيت روحك وضحيت بجسمك فى أداء واجبك فى الحياة !! . لك الله يا فتحى . إنك إنسان مخلص وفىّ طيب القلب نقى السريرة . لا ترضى لنفسك بالرق والعبودية ! ! . لك الله يا فتحى . إن لك نفسا طاهرة أبية لم تدنس بالنفاق والرياء وخلقا نبيلا يمنعك من حب الظهور والتملق للرؤساء . وقلبا صافياً لا يعرف الغل أو الحقد لجميع

الناس !! .لك الله يافتحى . لقد كنت ترجو على جدك واجتهادك مكافأة وإنصافا وتقديراً .فكان جزاؤك ظلما بينا وحرمانا من نعيم الحياة من يد كبيرة بطشت بمركزك وأطاحت بمكانتك فكنت ضحيتها ولم تسىء إليها يوما من الأيام !!. الك الله يافتحى إنك إنسان طريح الفراش والدنيا من حولك فى سواد قاتم وليل بهيم فهل من راحم لك أو مشفق عليك ؟.. فى وسط هذا الجو المكفهر وأمام هذه الزوابع وتلك العواصف جاءته رسالة من الآنسة « فتحية » : جاء فيها ما يأتى :

عزيزى : فتحى.... تحياتى إليك وعظيم تمنياتى . وبعد . فمن يوم أن فارقتك فارقت النور والسعادة ولا زمنى الأسى والعناء وصارت نفسى نهباً موزعة بين الضنى والأحزان وفريسة للالم والحرمان . وهأنذا أعيش فى حجرتى بعيداً عن جميع الناس اللهم الأطيفك الكريم وخيالك الجميل وشخصك النبيل الذى لن أنساه ما حييت . أخى . أكتب إليك والأسى يقطع أحشائى

والألم الدفين يكاد ان يقضى على نفسى ألتى أصبحت تغلى كالمرجل من جراء طغيان هؤلاء القوم الذين لايعرفون ربا ولا يهابون خالقا فيخشون عقابه ويحاذرون انتقامه . ويعلمون بأن هناك جنة المتقين . الذين يعدلون بين عباده . وجحيما وسعيرا للظلمة المتجبرين الذين يتغطرسون على خلقه . ليتهم يعرفون ذلك فنستريح من ذلك الشقاء والعناء ! . ولكن يأبى الله إلا ان يختم على قلوبهم ويجعل على ابصارهم غشاوة ويطمس على بصيرتهم فيرون الحق الواضح وكأنه الباطل المذيف . أخى . يامن تقدست أخوتك فى فؤا ى وتربعت نفسك الطاهرة فى سويداء قلبي وسرى حبك السامى فى شرايين جسمى . وإنسان تلك مكانته منى وهذا مقامه عندى . فهل يمكن أن أنساه أو أستطيع أن أعيش بدونه ؟. عزيزى . إلى الله نشكوا ظلم الانسان للانسان . وأملى أن القاك وأعيش فى حماك ولو فى ظلال الفردوس وفى جنات النعيم وتحت رضوان الله وواسع رحماته وتقبل خالص تحياتى

وأحر أشواقى وإلى اللقاء .. أختك « فتحية »

قرأ فتحى هذه الرسالة وكان يأمل ان يجد له خيطا من الأمل يتعلق به او مخرجا من تلك الآلام التى اصابت منه منفذا قاتلا واشتدت عليه وطأة المرض وبلغ اليأس منه اشد حالاته حتى أصبح يخشى عليه من الانفجار . وهل للزمن ان يرحمه . فلقد جاءته الأنذارات لتنفيذ الأمر الصادر إليه بالقوة .. ولكن اشد ما كان الوقع اليما والخطب جسيما أن علم زملاؤه الأطباء بآلامه فعادوا إليه فى منزله مستفسرين عليه فهالهم شدة الداء وقوة المرض وثقله عليه وانزعج الأطباء لهذه الحالة السيئة وامتلأ المنزل بهم والكل يود ان يقدم خدمة لهذا الزميل النبيل ومكثوا يتناوبون فى تشخيص هذا الداء العضال الذى اعياهم جميعا ووصل الخبر إلى الرؤساء واهتمت وزارة الصحة بهذا الأمر واصبح المنزل وكانه : قومسيون طبى عام : وكانت النتيجة التى أسف لها الجميع وشعروا بقوة تأنيب الضمير وخرجوا يعضون

بنان الندم ويبكون حياة ذلك الإنسان الذى أدى للوطن أعظم الخدمات فى أحرج الأوقات . وبعد ايام افاق بعض الشيء واحس بالراحة والنشاط يدب فى جسمه فكتب رسالة إلى شقيقة الروح قال فيها .

عزيزتى : فتحية . بعد التحية . وصلتنى رسالتك الكريمة فى وقت كنت فيه بعيداً عن عالم الحياة وغائبا عن دنيا الناس بل فى سياحة لذيذة للدار الآخرة رايت فيها من النعيم المقيم والسعادة التامة مانحن له اهل ... عزيزتى . لقد اعلنت الحياة الحرب على وجودى وقامت بالهجوم المنقض على شخصى من كل ناحية وهأنذا اقع اسيرا لتلك الجيوش الجرارة وفريسة للظلم والطغيان واكون الفداء لتلك الغطرسة الجبارة و لأنانية وحب الذات . ولا ذنب لى إلا إخلاصى ونزاهة مقصدى وطهارتى بين أترابى وانى من أسرة فقيرة الحال غنية بالمواهب وشريف الخصال .. اختى العزيزة أجمل بنفسك الطاهرة وأنعم بروحك الأبية وأخلاقك

العاليه التى تأبى أن تنزل إلى الدرك الأسفل من صغائر الأمور وسفاسف الأشياء . فتخضع لهذه التقاليد وتنقاد وراء هذه العادات الخرقاء .

وما الذنب الذى جنيته أو الإثم الذى اقترفته عند والدك الكريم حتى استحق منه هذا الحكم القاسى وذلك الظلم المبين فلقد صوب سهمه فى دائرة اختصاصى فكانت الضربة قاضية والسهم قاتلا زيادة عن تمسكه فى عدم اجتماعنا وتمزيق وحدتنا

وهاهم زملائى الأطباء يلازمون شخصى ليل نهار طمعا فى إعادة الحياة لشخصى والمياه لمجاريها ولكن ذهب مجهودهم أدراج الرياح ووقفوا مكتوفى الأيدى أمام قضاء الله المحتوم وقدره النافذ . ولقد سبق السيف العزلَ وجاوز الحزام الطبيين ولم يبق فى قوس الصبر منزع أو فى العمر الاسويعات بعدها الق الله شاكيا كما تذكرين .. فوداعا من دنيا الناس الفانية ياحبيبة الروح ومنية الفؤاد إلى حيث العدل الشامل والحرية المطلقة .. وإلى اللقاء فى جنان الفردوس ونعيم الرضوان. إلى اللقاء، «فتحى».

الفصل العاشر

بعد أن أبلت : فتحية : من مرضها وشفيت من آلامها جلست مع العائلة فى الصالون يتجاذبون أطراف الحديث ويتبادلون النكات . إذا بالباشا يقول لابنته : تعلمين يا وحيدتى أنى أحب لك الخير وأود لك السعادة فى منزل ترفرف عليه أعلام النعيم فى ظلال المال وقوة الجاه والسلطان. حيث أمتع ناظرى بما تنجبين من زرية طيبة وأولاد حسان . ولقد انتخبت لك شابا من أسرة كبيرة المقام لها عن عظيم مكانتها وسمو مجدها ما يجعلك تعيشين فى عز ومتعة ومجد ورفعة . إنه . شكرى بك : نجل زميلى م . ا باشا . . . أمنت الأم على هذه الرغبة وأيدتها بما رأته فى ذلك الشاب من جمال المنظر وحسن الهندام وما يتمتع به من مركز محترم فى دنيا المادة والجاه . . . تألمت : فتحية لهذا التحالف

لثنائى وأخذت تقول لأبيها فى دهشة !! أبى أتحب أن أصارحك
لقول مادمت تنشدلى الراحة والنعيم . ؟ . أجل من كل قلبى !
إذاً فالحقيقة التى لامفر منها . هى أننى لن أقبل إنسانا فى الوجود
سوى نابغة العلم : فتحى عادل : ولا أرضى بمخلوق سواه .
فهت الوالد من هذا التصريح الذى قوض كل آماله . وقال
ترضين لنفسك وأنت ابنة عظيم فى الدوله أن تعيشى فى كنف
شاب من الطبقة الدنيا . ؟ . وهل تقبلين الاقتران بإنسان فقير
من أسرة لاذكر لها فى الوجود . ؟ . ثق تماما أنك بعملك هذا
صوبين لهما قاتلا فى مجد الأسرة وتهدمين هذا البناء الشامخ
وتلصقين به عاراً لايمحى على مر الأيام . . لا يا أبى إن هؤلاء
شركاؤنا فى الوطنية وإخواننا فى الإنسانية ولئن كان المال ينقصهم
فانهم اغنياء بالمثل العلياو المعانى السامية . وحسبهم فخرا أن رسول
لإنسانية : محمداً : عليه السلام عاش فقير المال غنى النفس طاهر
القلب بعيداً عن كل معانى الترف والثراء الذى انتم فيه .

ورا ودته الجبال الشم من ذهب . عن نفسه فرفضها يأباء وشمم . ، فنعم الفخار والقدوة الحسنة . وإن . فتحى . لوعلتم فى أعلا منزلة وأسمى مكانه . أدب حم وعلم غزير . بلغهما عن كفاءة وجدارة . والمستقبل كفيل بأن يصل به إلى أعلا المراتب واسمى الأماكن . ، مهلا مهلا يا ابنتى إنك تخاطبين أباً درس الحياة وعرف عنها الشىء الكثير بحكم مركزه وما يتمتع به فى الدولة وكل ما تتمسكين به . إن هو إلا فلسفة قديمة لا وجود لها اليوم فى القرن العشرين وعصر المدنية والحضارة . ولهذا فركزى لايسمح لك بالزواج من هذا الشاب · حرصا على كرامة الأسرة ومراعاة لتقاليد العصر الحديث . ، الحق يا أبى أن هذه تقاليد العرب التى وضع أسسها قوم أباحيون مستهترون . ومدنية أوربا الدخيلة على الشرق والإسلام . غذت اخلاقنا وغيرت عاداتنا وبدلت انظمتنا الاجتماعية وخدعتنا بمظاهرها البراقة ومفاتنها الخلابة مما جعلنا نؤمن بها وننقاد لها انقيادا أعمى . ولكن أين

تشريع الله للناس وقوانينه لخلقه من أعمال الناس للناس . ؟؟
وقاطعها بقوله . أنا لا أسمح لك بانتقاد مدنية أوربا التى نهضت
بالشرق وكانت سببا فى رقيه وتقدمه . ولقد تكفلت بتأديب
هذا المجرم وسوف لا تجديه بعد اليوم إنسانا ينعم بلذة الحياة
إذ يلقى ما يستحقه من جزاء . فتأثرت . فتحية وتألمت لهذه
الحالة التى لا يرجى منها خلاص . وقامت إلى حجرتها متثاقلة وفى
نفسها من الأسى والحزن ما الله عليم به . إستأذن عليها خادمها
الخاص . وقدم إليها الرساله . فما إن تأتى على آخرها حتى تسرع
بالذهاب إلى منزل . فتحى . وهناك تجد المنزل غاصا بالرجال
والنساء وكأن على رؤسهم الطير من هول الموقف وشدة الفاجعة .
وإنها لتكلمه والدموع تنهمر من عينيها . ف . ف . وهاهو ذا
يفتح عينيه وشبح الموت ينتظره . فقال بصوت متقطع ونبرات
حزينة : فتحيه : أنت هنايا شقيقة الروح؟ . أنا انتهيت من حياة
الظلم والطغيان إلى حيث النور ورحمة الله . وما إن رأته يلقى

علمها كلمة الوداع ويردد الشهادتين حتى صعقت من هول الفاجعه ووقعت مغشيا عليها . فخف اليها الأطباء يسعفونها وأمروا بأرسالها إلى المستشفى فوراً لخطورة حالتها . وبهذا تنتهى حياة : فتحى : وتذهب روحه إلى جوار ربها راضية مرضية . تنعم بما قدمت يداه للانسانيه من جليل الخدمات وحميد الفعال ، . أللهم إن الأنسانية لتبكيه بدمعها الهتون والشهامة و لمروءة لتودع فى شخصه رجلها الوحيد وإنسانها الفريد . ولا تسل عن أمه وأخيه وصاحبته ومحبيه فلقد كانت الصدمة عليهم أكبر من أن تتحملها نفوسهم . وأعظم من الصبر عليها . ولكنه القضاء العادل والحكم المبرم . وهكذا يودعه الجميع إلى مقره الأخير بقلوب متقطعة من الحزن ونفوس هلعه من الأسى والألم . وهاهو ذا وزير الصحة يرسل مندوبا عنه فى تشييع الجنازة ويقدم لأسرته خالص عزائه ورثاه بقوله : لقد فقدت الأسرة الطبية فيه رجلا من أبر رجالها وأعز ابنائها لمخلصين الذين أدوا لها من الخدمات ماسيكون ذكرى

للتاريخ العاطر . وهديا للاجيال القادمة . ولقد كنا نفاخر بعقلية الجباره وذكائه الحادالذى تجلى فى ابحاثه الطبيه مما كان فى نيتى أن نوفده مندوبا عنا فى : مؤتمر الأبحاث الطبية بمدينة حنيف : ولكن عاجلته يد المنون فاختطفته من بيننا . فإنا لله وإنا إليه راجعون . وجزاه الله عن الوطن خير مايجزى به عباده المخلصين وجعل مثواه جنات النعيم .

obeikandl.com

الفصل الحادى عشر

لقد مكثت . فتحية . فى المستشفى هذه الليلة تعانى من شدة الصدمة وتلاقى من آلام الداء ما الله عليم به . بل كانت كمن أصابهامس من الجنون فغدت تهزى بكلام لم يكن مفهوما. وتقوم بحركات غريبة يتخللها بكاء حار ودموع منهمره وتوسلات هى أقرب إلى الصلوات والعبادة . وعندما ركنت إلى الخلود والهدوء . سمح الأطباء لأمها بالدخول عليها . فما إن رأتها حتى قامت ثائرتها الجنونية وقالت بصوت متقطع حزين . من أدخلك هنا . ؟ هيا أغربى عن وجهى فلست فى حاجة اليكما فانفجرت الأم باكية . أنا أمك يافتحية . لالا لقد انقطعت كل الصلات بيننا ولم أعد أمت اليكما بصله . أتركينى أناجى روح من سبقنى إلى جنة النعيم . ومن أصبح فى زمرة الشهداء المتقين . وحسن

أولئك رفيقا . وهأنذا أرى روحه ترفرف على مرحبة بمقدمى ومنتظرة للقياى ا . معذرةياحبيب الروح ! . لقد سبقتنى إلى جنان الخلد وسعدت بنعيم الفردوس . وعما قريب سألحق بك لأملأ ذلك الفراغ الذى بجانبك . فلا سامح الله قوما فرقوا بيننا ومذقوا شرف وحدتنا . ثم وقعت منها التفاتة فرأت أمها ترسل الدمع مدرارا . وكأن الأشباح حدثتها عنها . فقالت بثورة مشيرة اليها . أزيلوا هذا الظلم من مكان العدل وأبعدوا الظلام المخيف من دنيا النور والسلام . خرجت الأم حزينة باكية وقلبها يتقطع ألما وحسرة لما وصلت اليه حالة ابنتها من جنون مطبق ومرض خطير لن ينتظر منه شفاء . وهناك فى المنزل تجد الوالد يجلس كئيبا حزينا من ذلك التقرير الذى وصله عن حالة ابنته واستفسر منها عن الحالة الآن .

فترد عليه غاضبة . لقد قتلت ابنتى بقوة جاهك وجبروتك .

وآمنها بظلمك وطغيانك . فكنت سببا فى تشتيت شملنا ومعولا هداما لضياع كياننا من الوجود .

وليت جريمتك وقعت عند هذا الحد . بل امتد سلطانك الجائر إلى أسرة بائسة الحال معدمة اليد . فنكبت بابنهم وتعقبته فى حياته حتى وقع ضحية ظلمك وقهرك . إذ كافأته بضياع مستقبله وفقدان مركزه فى الحياة . ومالى أذهب بك بعيدا وهاك فلذة كبدك قد تنكرت لحياتنا ولم تطق صبراً على وجودى معها واعتبرتنا فى نظرها ظلمة متغطرسين وقساة متجبرين وقطعت كل ما بيننا وبينها من صلات . وأنها ستموت حتما وان يرجى لها شفاء .. وأخذت تبكى بكاءاً مراً . وطأطأ الوالد رأسه أذاء هذه الحقائق المرة والوقائع الثابتة ولم يحر جوابا لذلك . . ثم سأل عن صحتها بالتيلفون فأخبروه بان الحالة خطيره ولا مانع من حضوره . إن شاء ذلك ! .

فذهب إلى المستشفى مسرعا . ثم قال . كيف الحال يا بنتى .؟ ففتحت عينيها ورأته . فغضبت. وقالت أجئت تنغص على بقية حياتى . وتحاربنى حتى فى آواخر أنفاسى .؟ . أأنت أبى . ؟ وما كنت أتمنى أن يكون أبى ظالما متجبراً . وأنانياً متكبراً عن بنى جنسه ووطنه . . . سامحينى يا بنتى فيما كان منى من قسوة وارحمى شبابك من أن يذبل ولك كل ما تطلبين . !! . فقالت ندمت حيث لا ينفع الندم ورجعت حيث لم يبق فى قوس الصبر منزع ولم ترحمنا فى حياتكم الناعمة ومسراتكم الجميلة !! . وها نحن نلجأ إلى رحمة الله التى وسعت كل شىء لاسيما المتقين من خلقه والصالحين من عباده . . . أبى. هل : فتحى : الذى عرف ربه حق المعرفة . وأدى الأمانة فى تواضع ونزاهة وبهمة وإخلاص لا يكون شيئا فى نظر عرفكم وتقاليدكم .؟. فهل : فتحى: الذى بكته الأنسانية بدمعها الهتون وخسرته الأسرة الطيبة واعترفت

له الطبقات بالفضل والنبل. هو ليس بكفء لأوساطكم ياساده.؟. الأنه لا يحمل مثل ألقابكم ولا من ذوى الجاه العريض والثراء الفاحش لا يستحق أن يذكر بجواركم .؟. وهل جريمته أنه نشأ من وسط بائس وتربى فى أسرة فقيرة . يستحق منك هذه القسوة ويقابل بيد البطش والجبروت .؟. وها هى ذى أسرته قد تيتمت بفقد عميدها ورب نعمتها . ولكن الله أكرم من أن يترك عباده المخلصين فى طاعته ، هملا للطغاة المتجبرين وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، فتدخل أحد الأطباء راجيا منها أن تخفف من هذا العتاب المر وذلك التأنيب الشاق حرصا على صحتها من ذلك الاجهاد الذى يسبب لها أضرارا جسيمة ويعرضها لأخطار مهلكة ، فأجابته . إنى لم أذكر غير الواقع ولم أزد عليه حرفا من عندى . أما ما تنشدونه لى من الراحة والهناء فإنى أطلبه بجوار ربى وأوده هناك حيث يوفى الصابرون أجرهم

بغير حساب وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا، ثم رفعت طرفها إلى السماء وصارت تناجي ربها : ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى عليك شيء في الأرض ولا في السماء : ربي إن الهدى هداك . في شريعتك السمحة . وآياتك نورتهدى بهامن أخلص لك في العمل . وأطاعك في العباده . ولكن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً . وتركوه وراءهم ظهريا . وانقادوا لمدنية أوربا الفاجره وتمسكوا بمساوئها السافرة. وجروا وراء تقاليدها المتبرجة وحريتها المتهتكة وخلاعتها المذرية مؤمنين بأن ذلك هو الحضارة والتقدم . وما عدا ذلك هو الجمود والتأخر . فاللهم أدركني برحمتك وعمني بفيضك وعظيم إحسانك وتعهدني بجوارك ونجني من عذاب القبر وذلة السؤال . ولك الحمد أولا وآخراً . ثم هدأت ورددت بصوت منخفض : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله : بهذا الدعاء الروحي والتشهد الألهي أطلقت آخر أنفاسها . وهكذا ودعت الحياة الفانية إلى الدار

الباقية. . . وخرج الوالد باكيا بعض بنان الندم بعد أن استمع إلى هذا لدرس القاسى الذى أظهر له نتائج أعماله مما هو عظة وعبرة لأبناء الدنيا . . أجل لقد ماتت : فتحية: متأثرة بجروح لم تندمل بعد . وفارقت الحياة بعد جهاد شاق فى سبيل المثل العليا والمبادىء السامية . فيالها من نفس أبية صيغ من النور كيانها . تحملت العذاب فى سبيل الترفيه عن بنى الانسان والاحسان إلى الطبقة الفقيرة المحرومه . مما جعلها ترفض بأباء وشمم حياة الترف والثراء والنعيم والهناء!! هذه النفس التى كانت حربا على النظم الفاسدة وتقاليد الغرب الموبوءه وعاداته التى لا ترضى الله والإنسانية :

للغرب عادات كغازات سرت
فى الشرق مسرى الداء فى الأجسام
إن رأيت جيوشه لم تغزنا فى الحرب بل فى ملبس وطعام

لها الله من نفس قدمت روحها قربا للتضحية وفداء للواجب

لقد كانت تحمل المشعل الأصلاحى. وتحافظ على التراث الشرقى وتتمسك بأخلاق الشريعة وتقاليد الاسلام فى عصر طغت فيه الماديات على كل شىء فى الحياة حتى أفسدت عليه نظمه وأطاحت بمكانته وجلاله . فلها من الله الرحمة والرضوان جزاء ما قدمت للانسانية المعذبة من فضل وإحسان .

والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجيادا

الفصل الثانى عشر

لكل شىء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان

أى وربى لقد اقفر ذلك القصر العظيم . ولبس ثوب الحداد بعد أن كانت تهابه الحدثان . وطأطأ رأسه خشية من انتقام الله حيث كان مثلا ظاهرا للظلم والطغيان والسطوة والجبروت !!. ولا تسل عن أهل القصر وما حل بهم من أثر تلك الصدمة القوية والنكبة الأليمة التى هدت كيانهم وأفقدتهم الشعور بالحياه وذلك بفقد وحيدتهم فى الوجود وضياع أملهم من الدنيا . مما جعل رب الدار طريح الفراش قعيد البيت لا يدرى بحاله ولا يعرف مصيره الذى يسير إليه . وكانت الأم معتكفة فى إحدى زوايا القصر لا تعرف أحدا سوى تقديم التوبة والاستغفار عما قدمت يداها من ذنوب وآثام. وما اقترفته من جرم وطغيان . وإنها

اليوم لتؤمن بالله حقا وتعترف بقوة جبروته. وتخضع للعدل السماوى وتسير على ضوء تعاليم الاسلام . فتقطع الوقت جميعه فى أداء الصلوات وترتيل الدعوات طالبة منه الرحمة والغفران . تاركة زوجها يتحمل آلام الداء والأطباء من حوله يسهرون على راحته ويباشرون علاجه . ولكن عبثا يحاولون إذ استفحل داؤه وزادت علته . ومكث على حالته عدة سنوات حتى أصبح منطويا على نفسه وفى زوايا النسيان . وتركه الناس إلى حيث الصيت الذائع والثراء الفاحش . وتجاهلوه حيث تخلى عنه الجاه العريض وأصبح صفر اليدين خالى الوفاض . وكان حديثا للناس ومثلا للاعتبار . إذ اندثر مجده . وذهبت مكانته . ولفظته الأوساط الاستقراطية وتناسته المجتمعات العالية .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أى وربى فلقد ودعته المظاهر البراقه وتركه أرباب الملق والرياء ولم يجد حوله إلا خدمه الأوفياء الذين أبت نفوسهم أن يتركوا ولى نعمتهم فى وقت الضيق والشده مما جعلهم يضحون بكل مالديهم فى سبيل راحته وهنائه . وأنه ليتأثر من موقفهم المشرف ويشكرهم على اريحيتهم وجميل خلقهم فيجيبونه قائلين: لسنا أهلا للشكر وإنما هو واجب تفرضه علينا الانسانية والدين . وتلزمنا به تلك العادات العربية التى تطبعنا عليها ونشأنا فى كنفها حيث تحتم علينا أن لا نترك ولى نعمتنا فى وقت الضيق والشده وعند العوز والحاجه .. ولم يكد يسمع هذه الحقيقة المره والصراحة التامه حتى اصابته غيبوبة كادت تقضى عليه وتودى بحياته .. ولما أفاق من سكرته رفع عينيه الى السماء وقال متضرعا . . رباه . لقد تركت العمل بسامى شريعتك . وجهلت الاسلام وتعاليم دينك . وغرتنى الحياة بمظهرها الخادع وبريقها الخلاب . حتى أعمتنى عن الحق الأبلج والنور الأوضح .

رباه . لقد ركنت الى تقاليد عصرى . وتمسكت بعادات زمانى . وخضعت لنظم أوربا وآمنت بمدنية الغرب حتى غدوت متمسكا بها وملبيا لندائها ورهينا لأشارتها . مما جعلنى اعتقد بنظام الطبقات . والتفرقة بين الناس على أساس الغنى والجاه والمال المقام . ولم أكن اعترف بالحياة الحقه لهذه الطبقة الفقيرة المحرومه إذ لم يجد وامنى إلا كل غطرسة وكبرياء . وعدم إيمان بوجود هؤلاء الناس . ولهذا لم أسمح لابنتى . وهى حيدتى . بالزواج من شاب يمت الى هذه الأوساط إعتقادا منى بأن النعيم لاينتهى كما أن الفقر عار لا يزول . . رباه لقد كنت أعيش فى دنيا الخيال والأوهام وفى غفلة عن ذلك الضياء الشرقى . والسمو الروحى الذى يتجلى فى الأسلام . وهذه الطبقة الفقيرة التى أعلنت الحرب عليها بالأمس أجد عندها اليوم من الرجولة والاخلاص والنزاهة والوفاء مالا أجده عند غيرها من الطبقة الاستقراطية والأوساط العالية التى كانت حياتها نفاق ورياء

ومظاهر من اجل الثراء . إنفضوا من حولى حيث انتهى المال فانتهت عند ذلك صداقتهم . وتركونى إذ أصبحت طريح الفراش قعيد الدار .. رباه لقد كانت ابنتى تسير فى اتجاه خاص بها وتعيش على نهج يخالف مانحن عليه من الغرور والادعاء إذ كانت تود الفقراء وتندمج فى اوساطهم وتعطف على البؤساء والمحرومين . وتعمل على مواساة المنكوبين وتجاهد فى طريق الاصلاح بما كان لها من إيمان قوى وحب لتعاليم الأسلام مما جعلها تحرم على نفسها السعادة والهناء والتمتع بتلك المظاهر وحب الزات . حتى أن من يراها لا يقول أنها ابنة أحد العظماء او ولكن وقفت فى طريقها حجر عثرة وقسوة عليها وضربت بيد من حديد ذلك الشاب النبيل الذى كان مثلا فى التقوى والصلاح غير ناظر للعواقب الوخيمه أو مفكر فى النتائج المؤلمه .

فتبا لهذه التقاليد الآثمه والعادات الفاجره وما يدعونه بالحضارة والمدنيه . مما يدعوهم إلى الخروج على تقاليد الاسلام

العادلة. ومحاربة العادات العربية النبيله . والبعد عن أحكام الشريعة السمحه . رباه . لقد آمنت بعدلك الشامل . ونظامك الكامل والمساواة بين عبادك . فهم لديك سواسية إلا من أخلص فى العباده وتمسك بلباس التقوى وتدرع بقوة الإيمان فذلك خير لديك وأبقى .

رباه .. هل لى أن أطمع فى رضاك . او أنال ثوابك بعد ما ارتكبته من الذنوب والآثام . ؟ فاللهم رحمة بعبدك الذى خدعته الحياة وأبعدته عن الصراط المستقيم . وأنسته جلال الموت . وما فى الدار الآخرة من عذاب شديد . !! اللهم أننى نادم على ما كان منى . ومستغفر لذنوبى . راجيا رحمتك الواسعه . وفضلك العميم إنك أنت الغفور الرحيم . لك الملك وحدك لا شريك لك . وأنت على كل شىء قدير ، ثم أطبق جفنيه ولفظ النفس الأخير وخرجت روحه إلى حيث القصاص المبين والعدل الحكيم ... وهكذا تجود التقاليد بالضحايا وتأتى بالنكبات . .

وفى التقاليد شر قد عرفناه هيهات هيهات أن تحصى ضحاياه

تلك التقاليد الغربية الحديثة التى جىء بها لمحاربة الإسلام فى عقر داره . والتى ترمى إلى إبعاد المسلمين عن شريعتهم السمحه وترك عاداتهم العربيه وتقاليدهم الإسلاميه .

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

obeikandl.com

رجاء واعتذار وشكر

رجائى إليك أيها القارىء لبعض ضحايا المجتمع ، أن تقرأها على أنها درس للمجتمع وانتقاد للأدواء التى تدعوك إلى استئصالها والعمل على القضاء عليها ، واعتذار لحضرات أشبال العروبة الذين يودون أن يقرظوا عملى ويشكرونى على إنتاجى.. حيث أن ذلك ليس من دأبى ولا يتفق مع خلقى وطبعى . وشكرى للسادة الأفاضل الذين مدوا الى يد المساعدة والتشجيع . مما جعلنى أضرب صفحا عن حسد الناقمين وتردد المنافقين . وأسأل الله أن يوفقنا الى ما فيه الهداية والرشاد ؟

المؤلف

يس عباس حراجى

الطالب بكلية الشريعة

١٨ - ٣ - ١٩٥٠

أسرة آل حراجى

بقلم محمود افندى حسن حراجى

تنحدر هذه الأسره من أصل عربى صميم. نسبه إلى العرب الذين آووا الرسول عليه السلام فى ديارهم ونصروا دينه الحنيف وشدوا أذره حتى كان للاسلام النصر المبين. ولو أردت أن أتحدث عن تاريخ هذه الأسرة فانى أكتب المجلدات الضخمة ولا أنتهى فى ذلك لحد. ولكن يكفى أن أعطيك صورة مصغرة أيها القارىء للحقيقة والتاريخ مما يتفق مع حجم هذا المختصر اللطيف، تعالى معى إلى مديريتى «قنا وأسوان» واذهب إلى السودان أيضاً وبعض المديريات الأخرى تجد بعضا من آل حراجى. فما السر فى تفرقهم هذا وتبعثرهم فى مصر والسودان.؟

الجواب عن ذلك سهل يسير. وهو أن هذه الأسره اشتهرت بين أخواتها بصفات. وانفردت عنهم بطباع. فكنت

تنظر إلى الفرد منهم فتجده . عملاقا . مفرطا فى الطول معروفا بقوة الشكيمة وشدة المراس . مشهوراً بالتحرج لأقل الأسباب يتعصب للحق ويفنى فيه ولا يعرف للذل والهوان طريقا . وهذا هو السبب فى تسميتهم «بحراجى» ولهذا تجدهم يفضلون الصحارى والجبال حيث الحرية مكفولة لهم والهناء بعدم التقييد والجمود . ـــا جعلهم يختارون العيش فى ساحل «البحر الأحمر» معززين مكرمين . وكانوا يسافرون على ظهور الإبل ويحبون الأسفار طلبا للرزق والعيش . ولقد كان جد المؤلف مغرما بالرحلات فسافر الى بلاد نائية فاتصل به رئيس عرب العبابده « بشير بك مصطفى » وطلب منه أن يصاحب الجيوش العربية العبادية التى أوكل لها . فتح السودان . فذهب مع القافلة حتى كتب لها النصر وعادت تحمل لواء الظفر . فكافئوه على شجاعته بأن زوجوه من عائلاتهم . وعاش هناك فى مدينة « قفط » تبع مديرية «قنا» وفى غيرها . ويكفينى أن أذكر لك أن والدى كان يذكرنى بتاريخ

أهلي ويسرد لي ما كان لهم من ماضي مجيد وعهد زاهر .

فنحن جميعاً آل حراجي، وفرع لهذه الدوحة الفينانة وبيت كبير في قبائل العروبة . وفي الختام أشكر لأخي وشقيق الأستاذ يس عباس حراجي : هذا الإنتاج المثمر وذلك البحث الشيق الذي درس فيه ناحية من تلك الأمراض المتفشية فعالجها بقلبه ومحصها بعقليته . وأتمنى من الله أن يبارك عمله وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

رأس غارب

محمود حسن حراجي
شركة الزيوت المصرية
الانجليزية

ومن قصيدة طويلة للشاعر العربى العبادى الاستاذ حسين محمود حمزة نكتفى بهذه الابيات شاكرين .

ماذا جنت مصر إلا انها منيت
بمن اذاق الحمى كأس الملمات
ايبحث الناس عن حرية ذهبت
وعن صوالح أخلاق وعادات
كانت زخيرتنا فى الشرق ضيعها
مقلدوا الغرب فى ظل المساواة
فانشر بيانك يابن العرب تمح به
ماخلف الشرك فى مهد النبوات

تحية الاخ محمد الشاطر (السنى)

يس يادرة الـــوادى قد نلت بالعلم كل مرادى
فأنت الزهرة القيحاء حقا نشرت العلم فى كل البلاد

مفاجأة سارة

اعتزم المؤلف وصديقه الأستاذ حسين محمود حمزه على إخراج كتاب يضم آثار الشيطين الجليلين المرحومين الشيخ حمزه مساعد ونجله الشيخ محمود حمزة مساعد وما خلفاه من تراث ادبى وعلمى فالى المحبين لهما والمقدرين مكانتهما نزف هـــذه البشرى الطيبة .

obeikandl.com